تحقيب الأدب العربي
قراءة نقدية في أبجدياته وإشكالياته

تأليف

الأستاذ الدكتور
صبري فوزي أبوحسين

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات

من ٤٨٥ إلى ٥٤٨

تحقيب الأدب العربي
قراءة نقدية في أبجدياته وإشكالياته

أ.د/ صبري فوزي أبوحسين
قسم الأدب والنقد، شعبة اللغة العربية ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات، جامعة الأزهر ، مصر.
البريد الالكتروني : SABRYMHAMED@YAHOO.COM

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث" **تحقيب الأدب العربي: قراءة نقدية في أبجدياته وإشكالياته**".دراسة عالم الإبداع الأدبي العربي من خلال المنهج التاريخي، واستنباط كيفيات تحقيب الأدب العربي بكمِّه الإبداعي الكبير، ومسيرته الزمنية الطويلة، وامتداده المكاني المُنداح، من خلال تتبُّع أحقابه التاريخية، عند عدد من الباحثين المؤرخين، وقد جاءت هذه السُّهمة البحثية مكونة من **مدخل حول مفهوم مصطلحات البحث الأساسية:[** الأدب، النقد الأدبي، تاريخ الأدب، التحقيب]. ثم تناولت **في مبحث: مناهج تحقيب الأدب العربي. وفي مبحث ثان قدمت قراءة في أحقاب الأدب العربي.** ولعل في ذلك تمهيدًا للقارئ المعاصر للولوج إلى ساحة الأدب العربي عن وعي عقلي مصطلحي، وتتبع زمني، وفقه مكاني بذلك الأدب العريق.

ولا أدعي أنني رفضت الجهود السابقة في مجال التحقيب بل عرَّفت بالجهود المبذولة، وبيّنتُ قيمتها.

الكلمات المفتاحية:

تحقيب الأدب–قراءة نقدية– أبجديات الأدب– إشكاليات الدرس الأدبي

Arab Literature
A critical reading of its alphabet and problems

Prof. Dr. Sabry Fawzy Abu Hussein
Department of Literature and Criticism, Arabic Language Division, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail : SABRYMHAMED@YAHOO.COM

Research Summary:

This research attempts to "Refollow Arab Literature: A Critical Reading of its Alphabets and Problems". Studying the world of Arab literary creativity through the historical approach, and deducing the methods of refining Arabic literature with its great creative quantity and its long time course. And its laudatory spatial extension, by tracing its historical eras, according to a number of historian researchers, and this research paper consisted of an introduction on the concept of basic search terms [Literature, literary criticism, history of literature, editing]. Then I dealt with the topic: Methods of revising Arabic literature. In a

second topic, I presented a reading in the eras of Arabic literature. Perhaps this is a prelude for the contemporary reader to enter the arena of Arabic literature with a rational awareness of terminology, temporal tracking, and spatial jurisprudence with that ancient literature

I do not claim that I have rejected previous efforts in the field of investigation, but rather I have made known the efforts made, and explained their value

keywords: Refining literature – critical reading – alphabets of literature – problems of the literary lesson

المقدمة

ليس الأدب عبثًا ولا تَرَفًا ولا مَسْلاة أو مَلْهاةً، بل إنه أساس التعرف على الحياة والأحياء، و ديوان علم العرب، أقبل الأصلاء على تعلمه، وتعليمه، والبحث فيه، والعملِ على إحيائه واستدعاء نماذجه الإيجابية في كل عصر ومصر، ودَعَوْا إلى أن يظل في عصرنا– كما كان من قبل– ضرورةً من ضرورات الحياة العقلية، وغذاءً للعقول والقلوب، وتهذيبًا للنفس وتزكيةً للجنان، وتمرسًا على إجادة الفنون المنظومة والمنثورة، وتعرفًا على أساليب العرب وطريقتهم في الإبداع، ورأوا فيه مُقوّمًا لشخصيتنا، مُحقِّقًا لقوميتنا، عاصمًا لنا من الفناء في الأجنبي، مُعينًا لنا على أن نعرف أنفسنا ونُعرِّف بها؛ لأن الأمم تحيا بآدابها؛ ولذلك ترى المؤرخين يقدمون في تاريخهم تاريخَ الآداب على تاريخ الوقائع، بل أفردوا للآداب تاريخًا قائمًا بذاته يثبت ما يختص بالعلوم والمعارف في كل حضارة، مخبرًا عن نشأة الآداب بينها واتساع نطاقها وأسباب ترقيِّها ودورها الإيجابي في إصلاح الحياة والأحياء.

وقد صار الأدب في الاستعمال الحديث والمعاصر ذا مفهوم خاص خالص، مقسمًا إلى شعر ونثر، ومشتملًا على فنونهما التراثية التقليدية، تلك التي أضاف إليها العرب في القرن العشرين فنونًا عديدة؛ وذلك بحكم انتشار الطباعة والصحافة والإذاعة، والتليفزيون ووسائل الاتصال والتواصل التكنولوجية الحديثة والمعاصرة؛ مما يتطلب تحديث النظرة إلى هذا الأدب، وتجديد مناهج درسه وبحثه وعرضه وتحليله وتقييمه؛ مراعاة للمستجدات والمستحدثات. والأدب العربي أقدم أدب حي، ترجع نشأته إلى نحو ستة عشر قرنًا، ومن ثَمَّ فلابد أن يعقبه ويتابعه علم يؤرخ له، عن طريق سياحة في مجاميعه، وسباحة مع أعلامه، ومفاتشة لما فيه من إنجازات وإخفاقات، وقد أداها الأسلاف خير أداء، حسب

طرائقهم في البحث والتدوين وطبيعة الأنواع الأدبية عصرئذ... أما في عصرنا هذا فإن السياحة مع الأدب العربي والسباحة فيه تحتاج إلى تعرف مناهج بحثه ونقده، وعرض مسيرته وتبيُّن آثاره.

و**المنهج التاريخي** في درس الأدب وبحثه ونقده، قد ظُلِم –ويظلم دائمًا– من قبل الباحثين والنقاد بطريقة استعلائية انتقاصية لا مبرر لها؛ على الرغم من أنه ما زال له حضور في قاعات الدرس والبحث والتعليم، كما أنه منهج انبنى على قواعد متينة، هي في حد ذاتها نتاج فلسفات وتيارات فكرية عرفتها الإنسانية عبر سيرتها الطويلة، والمنهج العلمي يقتضي أن يُدرَس الأدب العربي وَفْقَ مقاييسَ تناسب ظروفه البيئية والجغرافية والاجتماعية وغيرها من الحيَوَات التي نبت فيها، والتي تجعله مختلفًا تمام الاختلاف عن البيئات الأدبِية والحَيَوَات المجتمعية الأخرى في العصور التالية، وتجعله يكاد يكون أقربَ الصُّور لرؤية إنسان ذلك العصر وانفعاله وفعله بماجرياته. كما أن المنهج التاريخي أعيد إحياؤه في آننا؛ إذ استُدعي من قبل دعاة الحداثة فيما يسمى"**التاريخانية الجديدة** New Historicism"، التي تهدف إلى فهم العمل أو الأثر الأدبي ضمن سياقه التاريخي مع التركيز على التاريخ الأدبي والثقافي والانفتاح أيضًا على تاريخ الأفكار. وبالمثل يطمح في أن يكون الأدب أكثر حيادية تجاه الأحداث التاريخية، وأن يكون أكثر تفهمًا وإدماجًا لهذه الثقافات المختلفة؛ ولذلك ارتبطت التاريخانية بمفهوم التاريخ والتطور التاريخي والثقافي وقراءة النصوص والخطابات التاريخية في ضوء مقاربة تاريخانية جديدة. وكانت تُعنَى باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة، وانتقاد المؤسسات السياسية المهيمنة، وتقويض المقولات المركزية السائدة. جاءت هذه المقاربة النقدية استنادًا إلى فرضية أن العمل الأدبي ينبغي أن يكون نتاج زمان ومكان وظروف، أكثر من كونه نتاج عمل منفرد

في خلقه . وجاءت التاريخانية بمثابة ردة فعل ضد النظرية النقدية الحديثة في تحليلها الشكلي للنصوص الأدبية، والتي كانت محل اهتمام جيل جديد من القراء من منظور آخر، وقد حاول التاريخيون الجدد فهم العمل الأدبي من خلال سياقه التاريخي وفهم التاريخ السياسي والثقافي من خلال الأدب، والذي يقود إلى علم جديد وهو تاريخ الأفكار، كما تنص على ذلك المدونات الخاصة بهم على مواقع الشبكة الدولية للمعلومات. ومن ثم كانت رغبتي في سُهمة بحثية بالمؤتمر الدولي الأول لكلية اللغة العربية بالمنوفية عن (العقل وعلوم العربية) ، المنعقد بمقر الكلية في يومي الثلاثاء والأربعاء(٣-٤-يناير-٢٠١٧م) ؛ للولوج إلى عالم الإبداع الأدبي العربي من خلال المنهج التاريخي، واستنباط كيفيات تحقيب الأدب العربي بكمِّه الإبداعي الكبير، ومسيرته الزمنية الطويلة، وامتداده المكاني المُنداح، من خلال تتبُّع أحقابه التاريخية، عند عدد من الباحثين المؤرخين، ومن ثم جاءت هذه السُّهمة البحثية بعنوان: " **تحقيب الأدب العربي: قراءة نقدية في أبجدياته وإشكالياته**". وقد انقسم البحث إلى مدخل ومبحثين، **على النحو الآتي:**

المدخل: مفهوم مصطلحات البحث الأساسية:[الأدب، النقد الأدبي، تاريخ الأدب، التحقيب].

المبحث الأول: مناهج تحقيب الأدب العربي.

المبحث الثاني: قراءة في أحقاب الأدب العربي.

ولعل في ذلك تمهيدًا للقارئ المعاصر للولوج إلى ساحة الأدب العربي عن وعي عقلي مصطلحي، وتتبع زمني، وفقه مكاني بذلك الأدب العريق. ولا أدعي أنني رفضت الجهود السابقة في مجال التحقيب بل عرَّفت بالجهود المبذولة، وبيّنتُ قيمتها.

المدخل: المفهوم العلمي لمصطلحات البحث الأساسية:

لكل علم مصطلحه الذي يُوظَّف في سبيل توصيل محتواه إلى الدارس؛ فالمصطلح "وعاء لغوي ضخم، ومستودع جامع يحتوي في داخله المناهج والدلالات والحقائق والمكونات التي تعكس المخزون الفكري والثقافي لذاكرة الأمة[١]. وفي هذا البحث توجد اصطلاحات أساسية للولوج إليه هي: الأدب، وتاريخ الأدب، والتحقيب. وهاك بيانها:

أولاً: مصطلح "الأدب":

الأدب مصطلح له تطور دلالي واسع وتدرج فكري كبير عبر الأعصار والأمصار، وتتبُّعه يدل على مرونة اللغة العربية وسَعتها وقابليتِها للتطور، وقدرتِها على التفاعل مع المستجدات والأحداث، والتلون بألوان كل عصر ومصر. وقد أضحت كلمة (أدب) في العصر الحديث تعني عند كل الأمم التعبير بالكلمات عن كل ما في الحياة و ما في النفس البشرية من خير و شر على السواء، على أن يقود العمل الأدبي (الأصيل) في النهاية إلى الخير دائمًا، مهما كانت نوعية الصور التي يعرضها ذلك العمل الأدبي. و التعبير بالكلمات لابد أن يكون مبنيًّا على أسس جمالية فنية يحدد مواصفاتها ومعاييرها النقد الصحيح النزيه الذي تختلف موازينه من عصر إلى عصر. وقد أخذت الكلمة منذ أواسط القرن الماضي **تدل على معنيين:**

<u>معنى عام</u>: يقابل معنى كلمة literature في الإنجليزية و literature في الفرنسية، والتي تطلق على كل شيء قيد الطبع أو كل ما يكتب باللغة من البحوث العلمية،

---

(١) ينظر: مقال الدكتور عباس المناصرة: "مدخل عام لمسيرة الأدب الإسلامي، المنشور في مجلة الأدب الإسلامي، العدد الثاني والخمسون/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٦-٣٢ .

والفنون. فيشمل كل ما أنتجته خواطر العلماء، وقرائح الأدباء، مهما كان أسلوبه ومهما يكن موضوعه.

وبهذا المفهوم يكون كل ما ينتجه العقل والشعور أدبًا... [١]. وهذا المفهوم كان سائدًا في بداية النهضة الأدبية الحديثة [٢].

معنى خاص: وهو الأدب الخالص الذي لا يقصد به التعبير عن معنًى من المعاني فقط، بل يراد به أيضًا أن يكون جميلًا بديعًا مشتملًا على تصور الأخيلة الرقيقة، والمعاني الدقيقة، مؤثرًا في عاطفة المتلقين: قراء وسامعين، مما يهذب النفس، ويرقق الحس، ويثقف اللسان [٣].

(١) ينظر: نظرية الأدب ص١٩ وما بعدها، أوستن رينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، طبع سنة ١٩٧٢م. وينظر: تاريخ الأدب العربي ص٣، أحمد حسن الزيات، نشر دار المعرفة في بيروت، ط ١٠، ١٤٢٧هـ.

(٢) ينظر: حياة اللغة العربية ص٧، أ.حفني ناصف، نشر مكتبة الثقافة الدينية سنة ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب العربي ص١، للأستاذ أحمد حسن الزيات. والموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من الباحثين ص٦٨، المكتبة العصرية ببيروت سنة ٢٠١٠م..

ولهذا المصطلح بهذا المفهوم الخاص في الاصطلاح الحديث والمعاصر مجموعة أخرى من المفاهيم المختلفة تعبيرًا، المتشابهة تفكيرًا[١]، ومن العسير أن يتفق المؤرخون والأدباء والنقاد على وضع تعريف موحد للأدب، على الرغم من محاولاتهم العديدة [٢]... وعناصر العمل الأدبي بصفة تامة تتمثل في أربعة أعمدة تمثل **مربع عملية الإبداع،** هي:"الواقع"، "المبدع"، و"النص"، و"المتلقي"، وقراءته تتطلب النظر في هذه الأعمدة نظرات متنوعة، على النحو الذي ظهر مع بداية عصر النهضة في أوربا، حيث ظهرت المناهج الخارجية(الناظرة إلى الواقع والمبدع أو أحدهما) والداخلية (المنغمسة في النص والنص فقط)، والمختلطة بين عمودين أو أكثر من هذه الأعمدة.

ويتداخل أو يترادف مصطلح الأدب في كتابات مُحَقِّبي الأدب مع مصطلحين آخرين هما:العمل الأدبي، والنص الأدبي. أما "**العمل الأدبي**" فهو "بناء لغوي، يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والإيحائية، في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة". إنه الشيء القائم الملموس، أما الأدب فهو ذلك الشيء المجرد، الصادر عن عاطفة صادقة مؤثرة [٣] ...

---

(١) هذا التعريف للدكتور/ هاري شو . راجع العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف، ص١٠، طبع دار المعارف، ومقدمة في النقد الأدبي للدكتور محمد حسن عبدالله، ص١٨، طبع دار البحوث العلمية، طبع الكويت سنة ١٩٧٥م.، و التفكير النقدي عند العرب ص٢٣، د/عيسى العاكوب.

(٢) ينظر في بيان مفهوم هذه العناصر: أصول النقد الأدبي ص ٤٥، د/أحمد الشايب، طبع دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٣م، وأسس النقد الأدبي ص٥٠٢، د/أحمد بدوي، طبع دار نهضة مصر سنة ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: الأدب وفنونه ص ٣١، د/عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

أما النص الأدبي فهو مصطلح يحل محل العمل الأدبي، ويشمل كل ألوان الأدب المأثورة من المنظوم والمنثور الذي أنتجته العقول وفاضت به القرائح وجادت به الخواطر على مر العصور، ما دام ذلك النص الأدبي يخرج إلى الناس في صورة أدبية معبرة ملتزمة طرائق كل نوع من الأنواع الأدبية في التعبير(١). **إنه** "التعبير عن تجربة شعورية تعبيرًا موحيًا(٢).

ثانيًا: تاريخ الأدب:

يقصد بهذا العلم: "تطبيق مناهج التاريخ لوصف الأدب في عصر أو في عصور متتالية عند شعب واحد أو عدة شعوب مختلفة، فعلى المؤرخ الأدبي إذن أن يحدد عصورًا أدبية، ذاكرًا اتجاهاتها العامة وأن يحاول الربط بين إنتاج الأديب وغيره من الأدباء، كما يربط أيضًا بين الحدث الأدبي –أينما كان– والأحداث التاريخية العامة سياسية كانت أو اجتماعية. وعليه أن يصف الأدب لا كظاهرة ثابتة، وإنما كظاهرة تتغير وتتطور مع مرور الزمن لرد فعل أو تأثر أو تفاعل بين عناصر أدبية مختلفة عبر العصور(٣)".

إنه علم مستحدث، لم يُعرَف قبل عصر النهضة، يبحث أحوال الأدب العربي–شعرًا ونثرًا– في عصر ما قبل الإسلام، عن طريق وصف مسلسل مع الزمن، لما رُوِي أو دُوِّن وسُجِّل؛ تعبيرًا عن عاطفة، أو فكرة، أو تعليمًا لعلم، أو فن، أو تخليدًا لحادثة، أو واقعة،

---

(١) ينظر: النص الأدبي بين أسس الاختيار وطرق التقويم، د/السيد أبوذكري ص٦، مركز معالجة الوثائق شبين الكوم سنة ١٩٩٦م، والاتجاهات الفنية لدراسة النص الشعري، د/يوسف عبدالوهاب ص١١، طبع التركي بطنطا سنة ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: اتجاهات وآراء في النقد الحديث، د/محمد نايل ص١١، طبع العاصمة سنة ١٩٦٥م.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص٨٤.

مبينًا نشأة هذا الأدب، وتطوره، وأهم أعلامه من الشعراء، والخطباء والحكماء والكتاب. إنه الباحث في الإنتاج اللغوي لعصر محدد زمانيًّا ومكانيًّا، معددًا المؤثرات المتنوعة فيه، محللاً نثرها ونظمها، مبينًا مدى رفعتها أو ضَعتِها، وعما كان لنابغيها من الأثر البيِّن فيها...

ثالثًا: مفهوم التحقيب:

التحقيب: في اللغة مصدر قياسي للفعل المضعف(حَقَّبَ) المولَّد حديثًا، والمشتق من الجذر اللغوي(ح/ق/ب) الذي يدور حول دلالة كلية هي الحبس، قال ابن فارس:"الحاء والقاف والباء أصلٌ واحد، **وهو يدلّ على الحبْس**[١]"، و**التحقيب** (وكذا فعله حقَّب) لفظ مولد حديثًا، مشتق من لفظة الحِقْبَةُ، أو الحُقب، و: "الحِقبة، بالكسر، من الدَّهْرِ: مُدَّةٌ لا وَقْتَ لها، والسَّنَةُ، ج: كَعِنَبٍ وحُبوبٍ. وبالضم: سُكونُ الرِّيحِ . والحُقْبُ، بالضم وبِضمتينِ: ثمانونَ سَنَةً أو أكْثَرُ، والدَّهْرُ، والسَّنَةُ أو السِّنونَ، ج: أحْقابٌ وأحْقُبٌ. وسمي بذلك؛ لما يجتمع فيه من السّنين والشّهور[٢].

ودلالة **(الحبس)** هذه مرادة في المفهوم الاصطلاحي للتحقيب؛ إذ يقصد به: تلك الدراسات التي عُنيت بقرن معين أو عهد أو حقبة، مع الإقرار باختلاف هذه المصطلحات الثلاث في الكم الزمني، فالحقبة أطول من العهد، وهذا الأخير أطول من القرن، فالحقبة مقولة جامعة لأجناس وأنواع أدبية عديدة لوجود خصائص مشتركة بينها؛ وهي، بهذا الجمع، تنظم الوقائع النصية والتاريخية في الذاكرة حتى لا تبقى تلك الوقائع مجرد ذرات متناثرة لا يجمع بينها جامع ولا ينظمها ناظم. وهذا التنظيم يتم ضمن كل حقبة على حدة ثم ينال الحقب جميعها لاستخلاص نواة جامعة للثقافة العربية: مشارقية أو مغاربية، أو

(١) مقاييس اللغة باب الحاء والقاف وما يثلثهما(ح/ق/ب).

(٢) راجع: القاموس المحيط، وتاج العروس: باب الباء، فصل الحاء.

روح موجِّه لها. وهي بهذا الفهم لا ترتبط بكم زمني محدد، وإنما تخضع لاشتراك خصائص معينة لعدة وقائع نصية وتاريخية(١).

وقد يتداخل مصطلح "الحقبة" مع مصطلح "العصر"، فتنحو –الحقبة– نحو الاصطباغ بصبغة سياسية. يقول سعيد علوش: "الحقبة عصر يتميز بسمات خاصة، وتغلب مذهب ما، وغالبا ما تنسب إلى وقائع سياسية، غير أدبية. وهي دائرة مغلقة على الشخصيات الأدبية والفضاءات الجغرافية وهي تتسم بفهم مدرسي سطحي للأدب. ولا يمكن تحديد حقبة بتاريخ معين، لنزوع الأحداث إلى الامتداد إلى السابق، أو اللاحق(٢)"، فعدم انضباط الحقبة للزمن راجع بالأساس إلى حقيقة مفادها أن الأحداث يكون لها امتداد زمني سابق ولاحق لها، كما هو الحال بالنسبة للفكر بصفة عامة إذ يصعب تحجيمه في زمن معين.

---

(١) راجع: أثر التحقيب السياسي في التحقيب الأدبي بالمغرب للدكتور عبدالجليل شوقي، مقال منشور في مجلة المثقف على الرابط:
.http://almothaqaf.com/index.php/qadaya٢٠٠٩/٦٢٤٨٨.html

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ص:٤١..

والخلاصة أن مصطلح التحقيب مغاربي، وأنه متداخل مع مصطلح التأريخ، والعلاقة بينهما إما ترادف وتشابه، أو علاقة الكل بالجزء، فالتحقيب جزء من التأريخ، وأداة من أدواته، فائدة الدعوة إليه راجعة إلى كونه أكثر تحررًا من التأريخ، ويوسع في مجالات الدرس الأدبي. ويُعنَى علم تحقيب الأدب بالتأريخ للأدب، وبيان نشأته، وتطوره، والتعريف بأهم أعلامه من الشعراء، والكتاب. والأدب العربي يُمثِّل منذ بدايته الأولى إلى حداثته الآنية، نتاجًا كبيرًا ممتدًّا زمانيًّا، ومتشعب مكانيًّا، ومتنوعًا فنيًّا، يصعب عرضه عرضًا كليًّا شاملاً مفصلاً للدارس بمنهج واحد صارم، بل لابد من التنوع في العرض تحديدًا وتقسيمًا...

وهكذا عرض هذا المدخل التمهيدي لاصطلاحات البحث الأساسية من المادة العلمية المبحوثة (الأدب/النص الأدبي/العمل الأدبي)، والعلم الذي يهتم بهذه المادة(تاريخ الأدب)، والمنهج العلمي المتبع في دراسة هذه المادة (المنهج التاريخي)، والأداة الأساسية التي يستخدمها المنهج، وهي(التحقيب)، وتكاد تكون العلاقة بين هذه الاصطلاحات بهذا التحليل متسلسلة منطقيًّا.

المبحث الأول
مناهج تحقيب الأدب العربي

المبحث الأول: مناهج تحقيب الأدب العربى

يقصد **بالمنهج النقدي:** الطريقة ذات الرؤية الفلسفية والإجراءات العملية والاصطلاحات العلمية الخاصة، المستعان بها في معايشة النص الأدبي ومحاورته بقصد وصفه وتحليله وتقديره، ببيان ما به من إنجازات أو إخفاقات، بدرجة علمية عالية في أسلوبها ومنطقها، حتى يكاد الحكم النقدي يتحول إلى نتيجة علمية كأنها صادرة في مختبر تجريبي!.

وقد شهد العصر الحديث في البلاد العربية تطورات كثيرة، من تعدد الاتجاهات الفكرية، و تنوع العلوم الإنسانية و تطورها، فاستفاد النقد الأدبي كثيرًا من هذا التنوع المعرفي، و وظفه في عالم الأدب وصفًا وتحليلاً وحكمًا وتغذَّى بثمار متنوعة من آداب العالم وفنونه ونظرياته النقدية، وشهدت دوائر البحث الأكاديمي والمؤتمرات والندوات ودور النشر كثيرًا جدًّا من الأعمال التي تناولت الأدب: قديمه وحديثه، تأريخه ونقده، هذا على حين ظلت مناهج الدراسة الأدبية في أغلب المؤسسات التعليمية العربية على اختلاف مستوياتها في واد منعزل، كأنها في صمم عما يدور حولها من تلك التطورات وما فيها من إضافات وتجديد في الأحكام والمعايير النقدية.

وقد أفرز العصر الحديث عددًا من المناهج النقدية؛ إذ اجتهد عدد كبير من الأدباء والمؤلفين والدارسين في تدوين تاريخ الأدب العربي في كتب تتفاوت في أحجامها ومناهجها، فجاء بعضها في كتاب، وبعضها الآخر في مجلدات، وأخذوا ينهجون مناهج متباينة في كتابتهم تاريخ الأدب العربي وفي تحقيبهم إياه، **من أبرز هذه المناهج ما يلي:**

المنهج الموضوعى:

ذلك الذي يراعي النوع أو الجنس الأدبي في الدرس، فيدرس النتاج الأدبي في الأنواع الأدبية، كالقصة، والمسرحية، والمقامة، والمقال، والشعر، أو يتناول الظواهر الأدبية، كالنقائض، أو الموشحات، أو الأوزان المستحدثة. **وهو ما يسمى أحيانًا المنهج الفني،** ويقسم الأدب العربي حسب الأغراض الفنية أو الفنون والأنواع الأجناسية كما فعل مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، وطه حسين في "الأدب الجاهلي" حينما تحدث عن المدرسة الأوسية في الشعر الجاهلي التي امتدت حتى العصر الإسلامي والأموي ، وشوقي ضيف في كتابيه" الفن ومذاهبه في الشعر العربي" و" الفن ومذاهبه في النثر العربي"حيث قسم الأدب العربي إلى ثلاث مدارس فنية: مدرسة الصنعة ومدرسة التصنيع ومدرسة التصنع، و محمد مندور في كنابه" الأدب وفنونه"، وعز الدين إسماعيل في" فنون الأدب"، وعبد المنعم تليمة في" مقدمة في نظرية الأدب"، ورشيد يحياوي في"مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية". فهؤلاء الدارسون عددوا الأجناس الأدبية وقسموها إلى فنون وأنواع و أغراض وأنماط تشكل نظرية الأدب[١] ؛ فهو يدرس الجنس الأدبي مستقلا عما عداه من أجناس الأدب حتى ينتهي منه، ثم يتوجه إلى غيره فيفعل معه مثل ذلك؛ مما يسمح بالتعمق في كل جنس والقدرة على سبر أغواره وذكر كل شيء عنه بأدق تفصيلاته، وهو ما لايتاح في الدراسات المجمعة في اعتقاد الداعين إليه، غير

(١) ينظر: أصول النقد الأدبي ص١٩٠، ومناهج البحث الأدبي، د/فتحي أبوعيسى ص١٥٩ وما بعدها.

أن هذا المنهج على ما فيه من المزايا يحرم الدراس من الإحاطة بالحالة الأدبية في عصر من الأعصار أو مكان من الأمكنة[١]!

المنهج البيئى:

ذلك الذي يراعي المكان في الدرس الأدبي فيدرس النتاج الأدبي في مكان معين، فنجد الأدب الأندلسي، والأدب في بلاد الشام، والأدب في العراق، والأدب في الجزيرة العربية، والأدب المغاربي، والأدب المصري... وهكذا دواليك. **وهو ما يسمى أحيانًا المنهج الإقليمي،** وقد ظهر عند الأستاذ أحمد ضيف في كتابه" مقدمة لدراسة بلاغة العرب"، والأستاذ أمين الخولي(١٨٩٥–١٩٦٦م) في كتابه" إلى الأدب المصري"، والأدب العربي في مصر من الفتح حتى العصر الأيوبي للأستاذ محمود مصطفى، وشوقي ضيف في موسوعته" عصر الدول والإمارات"، وكتابه"الأدب العربي المعاصر في مصر"، والعلامة عبد الله كنون(١٩٠٨–١٩٨٩م) في كتابيه: " النبوغ المغربي في الأدب العربي"، و"أحاديث عن الأدب المغربي الحديث"، والدكتور كمال السوافيري(١٩١٧–١٩٩٢م) في كتابه: "الأدب العربي المعاصر في فلسطين"...[٢].

إنه منهج يدرس الأدب جغرافيًّا في كل إقليم على حدة، وهذا من موروثات الحركة الاستعمارية الاستدمارية الخبيثة القبيحة، التي سعت إلى فصم عرى أمة واحدة في لغتها

---

(١) ينظر: الأدب العربي في عصر الأصالة، د/كاظم الظواهري ص٩،طبع سنة ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص١١ وما بعدها، نشر دار المعارف، المذاهب الأدبية، د/ماهر حسن فهمي، ص١٧٩ وما بعدها.

ودينها إلى أمم ودول عديدة؛ فهو يتنكر لمسلمة يقينية كان لها أثرها في الأدب فلم يعرف أدب للشام إلا وأدباء العراق لهم فيه نصيب، ولم يعرف أدب لمصر إلا وأدباء الشام لهم فيه نصيب، فكيف يمكن فصم ذلك وفصله والتمييز بينه إلا افتعالا ومجافاة للموضوعية(١).

وليس نقد هذين المنهجين رفضًا لهما، وطردًا لهما من دنيا البحث الأدبي، بل إن لهما حضورًا وضرورة يقتضيها البحث العلمي، من أجل تسليط الضوء على جانب من جوانب الحياة الأدبية أو ظاهرة بعينها، والحق أن لكل من المنهجين مكانه المناسب في مكتبة الدرس الأدبي ومدونته، فالمنهج الموضوعي يخدم مجال النقد الأدبي أكثر من تاريخ الأدب، والمنهج البيئي يخدم تاريخ الأدب أكثر من النقد الأدبي!

المنهج الزمني:

ذلك الذي يراعي الزمان في الدرس الأدبي، والذي يتفق مع روح التاريخ ومعناه، فما دامت الدراسة تاريخية فليكن محورها العنصر الزماني، ولكل باحث محق ومؤرخ منهجه في التحقيب والتأريخ، وطريقته في الدرس والتفكير.. وقد ظهر نتيجة للصلة الوثيقة بين النقد والعلوم الإنسانية التي تدرس نشاط الإنسان بوصفه إنسانًا، كالفلسفة بفروعها المختلفة، والتاريخ، وعلوم اللغة، والاجتماع، وهذه العلوم قسيمة للعلوم التجريبية التي تدرس الإنسان نفسه من جانب فسيولوجي، أو بيولوجي.

---

(١) ينظر السابق ذاته.

وكان هذا المنهج هو المختار لدى جمهرة الدارسين في ربوع الوطن العربي، وعند المستشرقين؛ فقد حاولوا تقسيم حياة هذا الأدب إلى عصور وحقب أطلقوا عليها تسميات أو مصطلحات حددوها بفترات زمنية أو فنية معينة، وقسموها عصورًا أدبية ..والتحديدات الزمنية والتسميات المختارة لها قد تعاورتها كتب التاريخ العام وتاريخ الأدب على الخصوص.. وليس هذا الأخير إلا من ذاك الأول[١]؛ رغبة في إتمام عملهم هذا وتسهيلاً لمهمتهم فيه وتيسيرًا لفهم الأدب وتفهمه ثم تقديمه مادة دسمة وأكلة فكرية/أدبية طازجة لبني قومهم وجلدتهم، وتعين الدارسين على البحث العلمي في تاريخ الأدب.. وتيسر لهم مهمة إصدار هذا الأدب إلى المتلقي في أبهى صورة، وأخف ظل؛ فالهدف من هذا التحقيب بحثي نقدي تعليمي.

وينبغي أن يعلم أنه ليس المستشرقون[٢] أول من طبق المنهج التاريخي على الأدب العربي، بل كان هاجس التحقيب للحضارة العربية حاضرًا لدى بعض الدارسين القدماء، كابن سلام الجمحي (ت٢١٣هـ) في طبقاته، وابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) في الشعر

(١)راجع مقال: الناقد الإسلامي وتحقيب تاريخ الأدب، الأستاذ عبد الرزاق المساوي، الدار البيضاء – المغرب، على الرابط:-http://www.mazameer.com/vb/archive/index.php/t-١٤٧٥٢.html.

(٢)راجع على سبيل المثال: المستشرق الألماني كارل بروكلمان، في "كتابه تاريخ الأدب Carl Brockelmann، وعند الايطالي كارل نللينو(Carlo Alfoso Nallino)، في كتابه "تاريخ الآداب العربية، وعند المستشرق الإنجليزي رينو نيكولسن(R.A.Nicholson)، في كتابه "تاريخ العرب الأدبي" وعند المستشرق الروسي(Ignaij Julianovic Krackovskij أغناطيوس كراتشوفسكي) في كتابه "دراسات في تاريخ الأدب العربي" ... وغيرهم كثير.

والشعراء، والأصفهاني(ت٣٥٦هـ) في أغانيه، والجرجاني (ت٣٩٢هـ)في الوساطة [١]، والثعالبي(ت٤٢٩هـ) في اليتيمة، وعبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ) الذي حقَّب الحضارة العربية بعد انتقالها من الفرس إلى: حضارة بني أمية وبني العباس، حضارة الأندلس، حضارة المغرب، وبوعيه التام بتسلسل هذه الحقب، والانتقال بينها، يقول:" تنتقل الحضارة من الدول السالفة إلى الدولة الخالفة، فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني أمية وبني العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالأندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد"[٢]".

---

(١)راجع: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي الذي اهتم بمسألة التحقيب ٢٤/١، والنشأة ١/ ٣٩ و٤٨، وبرسم مسار تاريخي للشعر العربي حين تحدث عن تنقل الشعر في القبائل ١ /٤٠، كما اهتم بالعلاقة بين النص ومبدعه لما حاول التأكد من نسبة الأشعار إلى أصحابها ١ /٤ ، وبالعلاقة بين الشعر والبيئة التي نشأ فيها ١ /٢١٥. وبعد ابن سلام أثار القاضي الجرجاني في " الوساطة " والثعالبي في " يتيمة الدهر " وغيرهما قضايا تنم عن وعي عميق بأهمية معطيات التاريخ في دراسة الأدب، من ذلك مثلا إقرار الجرجاني بأن الأدب تمثيل لنفسية صاحبه وتصوير لخلقته حين علل اختلاف الأشعار باختلاف الطبائع وتركيب الخلق ص: ١٧ – ١٨. ومن ذلك أيضًا نهج الثعالبي للتقسيم الإقليمي في تصنيف شعراء عصره، مما يعكس وعيه بالصلة الوطيدة التي تصل الأدب ببيئته ١ / ٢١–٢٢ . ومن بعد هؤلاء التزم أصحاب التراجم الأدبية في العصور المتأخرة هذا التحقيب التاريخي كما عند العماد الأصفهاني في موسوعة"خريدة القصر وجريدة العصر"، والشهاب الخفاجي في ريحانة الألبا، والمحبي في نفحة الريحانة، وابن معصوم في سلافة العصر عن الشعراء بكل مصر. وراجع مناهج البحث الأدبي، د/سعد ظلام ص٢٨، والنقد المنهجي عند العرب ص١١وما بعدها، والنقد الأدبي لأحمد أمين ص٤١٩وما بعدها.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.ص:٢١٨.

أما جهود المحدثين العرب فكثيرة جدًّا، منها جهدالأستاذ حسن توفيق العدل(١٨٦٢-١٩٠٤م) في كتابه"تاريخ آداب اللغة العربية" الذي ألفه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وحفني ناصف في كتابه "تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية" في جزءين (١٩١٠م)، وأحمد الإسكندري(١٨٧٥-١٩٣٨م) في كتابه"تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي" (١٩١١م)، و جرجي زيدان(١٨٦١-١٩١٤م)، في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" في أربعة أجزاء (١٩١١م) والذي انتهى منه سنة ١٩١٤م، وأحمد الإسكندري ومصطفى العناني في كتابيهما "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" (١٩١٩م)، وأحمد حسن الزيات(١٨٨٥-١٩٦٨م) في كتابه"تاريخ الأدب العربي"(١٩٢٥م)، وأحمد أمين(١٨٨٦-١٩٥٤م) في كتبه المتسلسلة: "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، وحنا الفاخوري(١٩١٦-٢٠١١م) في كتابه المدرسي "تاريخ الأدب العربي"، وعمر فروخ(١٩٠٦-١٩٨٧م) في تأريخه للأدب العربي، والدكتور شوقي ضيف(١٩١٠-٢٠٠٥م) في موسوعته: "تاريخ الأدب العربي"...إلخ[١].

ويعد هذا المنهج أشيع هذه المناهج، ويسمى المنهج المدرسي؛ لأن هذا المنهج كان يدرس في المدارس الثانوية والجامعات في أوربا والعالم العربي، وما زال مهيمنًا على قاعات الدرس الجامعي. وهو يتعامل مع الظاهرة الأدبية من زاوية سياسية، فكلما تقدم العصر سياسيًّا ازدهر الأدب، وكلما ضعف العصر ضعف الأدب. ويتكئ هذا المنهج

(١) ينظر: أصول النقد الأدبي العربي للأستاذ أحمد الشايب ص٩٢، ومناهج الدراسات الأدبية في الأدب العربي: عرض ونقد واقتراح، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص:١٨، ومناهج البحث الأدبي، د/فتحي أبوعيسى ص٣٥ وما بعدها.

على كون الطابع التاريخي والسياسي والاجتماعي لازمًا لفهم الأدب وتفسيره، لذا لا يكون الأديب عبقريًّا لو تقدم عصره أو تأخر عنه مادامت عوامل البيئة قد وجهته، وأفرزته إلى هذه الوجهة.

ومن أعلامه في النقد الغربي الفرنسي الناقد **فيلمان** يعقد صلة وثيقة بين الأدب والتاريخ، واتخاذه التاريخ وسيلة لفهم الأدب وتفسيره وتعليل مزاياه في بيئته إذ كان الأدب صورة للحياة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها. كما أن **فرديناند برونتير**(١٨٤٩-١٩٠٦)، الناقد والمفكر الفرنسي، طبق النظرية في ميدان الاجتماع والأخلاق على الفنون الجميلة والأدب. فقد لاحظ أن التطور في حقل الظواهر الأدبية كثيرًا ما يؤدي إلى بروز نوع جديد تتضح فيه بقايا نوع سابق على نحو تطور الكائنات العضوية في نظرية(داروين)، فأخذ بمذهب تدرج الأنواع، مطبقًا إياه على فنون الأدب من شعر وكتابة وخطابة وغيرها، دارسًا: كيفية نشأتها وتطورها عبر العصور، وكيفية تأثر لاحقها بسابقها . . وهذا **سانت بيف** (١٨٠٤-١٨٦٩)، يركز على شخصية الأديب تركيزًا مطلقًا، إيمانًا منه بأنه "كما تكون الشجرة يكون ثمرها"، وأن النص "تعبير عن مزاج فردي"، لذلك كان ولوعًا بالتقصي لحياة الكاتب الشخصية والعائلية، ومعرفة أصدقائه وأعدائه، وحالاته المادية والعقلية والأخلاقية، وعاداته وأذواقه وآرائه الشخصية، وكل ما يصب فيما كان يسميه "وعاء الكاتب" الذي هو أساس مسبق لفهم ما يكتبه، حتى وإن "كان نقده قد سمي بالنقد التاريخي فمن الواجب أن نفهمه على أنه هو النقد التفسيري. ويرى بأن الأدب ليس إلا نتاجًا لشخصية الفرد، وهذا ما دعاه لأن يرسم في كل ما كتب صورة أخلاقية ونفسية وأدبية للأدباء الذين درسهم أكثر مما سعى لتقديم دراسات قيمية بحق أدبهم. فما دامت

هذه الآثار صادر عنهم مباشرة فإنها تمثل نفوسهم وتتأثر بعوامل البيئة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي خضعوا لها، ولقد دعا "**سانت بيف**" في ظل منهجية نقده إلى" دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم، وأممهم، وعصورهم، وآبائهم وأمهاتهم، وأسرهم، وتربيتهم، وخواصهم النفسية والعقلية، وعلاقاتهم بأصدقائهم، ومعارفهم، والتعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار، ووظيفة النقد الأدبي عنده: هي النفاذ إلى ذات المؤلف لتشف روحه من وراء عباءته بحيث يفهمه قراؤه، وهو بذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب[١].

أما **هيبولت تين**(١٨٢٨–١٨٩٣) [٢] فكان يلتقي مع "**بيف**" في الرؤية العامة، بيد أن "تين" أكثر انبهارًا بقوانين العلوم الطبيعية؛ فقد غلا فطبق على الأدب مذهب الجبريين. كان يرى أن الإنسان ينتج الأدب والأشعار والفلسفات بطريقة طبيعية تشبه تمامًا إفراز دودة القز خيوط الحرير. ويعتقد "تين" أن الأديب الذي يعيش داخل إطار منظومة القوانين الطبيعية لابد أن يخضع لها، وينتج ويبدع في سياقها المعرفي والتاريخي. وقد رأى أن ثمة ثلاثة عوامل تؤثر في إنتاج الأديب، وجعل الأدب ثمرة محتومة لها، **ودرس النصوص الأدبية في ضوئها:**

---

(١)البحث الأدبي – طبيعته – مناهجه – أصوله، مصادره: د. شوقي ضيف: ط ٦. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥٣.

(٢) هو هيبوليت تين (١٨٢٨–١٨٩٣)H.Taine / ، الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الشهير. ينظر: الأدب وفنونه ص٢٨، والأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا، للدكتور عفيف عبدالرحمن ص٢٢٦، طبع دار الفكر سنة ١٩٨٧م .

- **العرق أو الجنس (Race)** ؛ بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معي.
- **البيئة، أو المكان أو الوسط، (Milieu)**؛ بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.
- **الزمان أو العصر(Temps)**؛ أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرًا على النص. مع الاستعانة بالمنهج الإنساني السيكولوجي، حيث الربط بين البيئة والحالة السياسية والاجتماعية والأدب ربطًا علميًّا، والربط بين الحدود التاريخية وحدود الأطوار الأدبية، مع مراعاة النظرة الموضوعية والدقة المنهجية والعمق في طرق الخبر التاريخي بعد نقده وتمحيصه وتوثيقه من خلال التوقف عند مصادره واستبعاد ما حوله من شبهات. وهذا دور المحقق والعالم المحاور والباحث المناقش لأطروحات الآخرين [١].

فالنصوص الأدبية –ومنشئوها –خلاصة طبعية لخواص الشعب الذي أظلها في زمن ومكان بعينهما، ورجال الأدب هم الذين يمثلون روح عصرهم بما يقولون أو يكتبون. وعلى دارس الأدب أن يتفهم أولاً هذه العوامل الثلاثة ليستطيع فهم الأدب وإرجاع خواصه إلى مصادره الأولى... ولعل أبرز ما يمكن أن يوجه من نقد لهذا التصور، هو إنكاره أهمية الفرادة واللجوء إلى تعميم التصور القائم على أهمية الزمان والمكان والجنس.

---

(١) راجع المذاهب الأدبية للدكتور ماهر حسن فهمي، وفي الميزان الجديد للدكتور محمد مندور، ومقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتابه"العصر"، وفي كتابه"في النقد الأدبي، ومناهج البحث الأدبي للدكتور سعد ظلام وغيرها.".

أما المنظر الكبير "**كوستاف لانسون**"G.Lanson فقد قيد إجراءاته التأريخية الموضوعية بسلسلة من العمليات العلمية المتراوحة بين تحقيق النص وتوثيقه وتحليله وتقويمه وتصنيفه، كي تتكامل في نظره المعرفة الموضوعية التاريخية مع التأثر الشخصي والذوق الخاص، وتراعي خصوصيات المادة الأدبية موضوع الدرس.

ويعد الدكتور شوقي ضيف ممن راعى هذه المعايير وغيرها، رغبةً منه في تحقيق النظرة التكاملية للأدب في تأريخه الأدبي، يقول: "سنحاول أن نؤرخ في أجزاء هذا الكتاب للأدب العربي بمعناه الخاص مفيدين من هذه المناهج المختلفة في دراسة الأدب وأعلامه وآثاره، فنقف عند الجنس والوسط الزماني والمكاني الذي نشأ فيه الأديب، ولكن دون أن نبطل فكرة الشخصية الأدبية والمواهب الذاتية التي فسح لها سانت بيف في دراساته، وكذلك لن نبطل نظرية تطور النوع الأدبي. فما من شك في أن الأنواع الأدبية تتطور من عصر إلى عصر، وقد يتولد بعضها عن بعض فيظهر نوع أدبي جديد لا سابقة له في الظاهر. ولكن إذا تعمقنا في الدرس وجدناه قد نشأ من نوع آخر مغاير له (...) ولا بد أن نستضيء في ذلك بدراسات النفسيين والاجتماعيين وما تلقي من أضواء على الأدباء وآثارهم. وبجانب ذلك، لا بد أن نقف عند أساليب الأدباء وتشكيلاتهم اللفظية وما تستوفي من قيم جمالية مختلفة. ولا بد من المقارنة بين السابق واللاحق في التراث الأدبي العربي جميعه[١]".

(١) تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي" ص:١٣-١٤.

ويعتمد المنهج التاريخي على وصف وتسجيل الوقائع وأنشطة الماضي ولكن لا يقف عند حد الوصف والتسجيل ولكن يتعداه إلى دراسة وتحليل للوثائق والأحداث المختلفة وإيجاد التفسيرات الملائمة والمنطقية لها على أسس علمية دقيقة بغرض الوصول إلى نتائج تمثل حقائق منطقية وتعميمات تساعد في فهم ذلك الماضي والاستناد على ذلك الفهم في بناء حقائق للحاضر وكذلك الوصول إلى القواعد للتنبؤ بالمستقبل. فالمنهج التاريخي له وظائف رئيسية تتمثل في التفسير والتنبؤ وهو أمر مهم للمنهج العلمي. إنه المنهج الأقدم، والأوسع ذيوعًا واستخدامًا بين الباحثين، والأكثر رسوخًا في الثقافة الإنسانية، والأسهل في التأليف، ويميل إليه صانعو القرارات في مؤسسات التربية والتعليم والثقافة، كما رأوا فيه اتجاهًا وسطيًّا، والناس إلى الاعتدال أقرب وفيه أرغب(١).

وهذا المنهج يؤدي إلى معرفة أسباب ارتقاء أدب اللغة وانحطاطه، وتبيُّن أساليب اللغة، وفنونها، وأفكار أهلها ومواضعاتهم، واختلاف أذواقهم في نثرهم ونظمهم، على اختلاف عصورهم، وبيان أحوال النابهين من أهل اللغة في كل عصر، وما كان لنثرهم وشعرهم، وتأليفهم من أثر محمود، أو حال ممقوتة؛ لنحتذي مثال المحسن، ونتنكب عن طريق المسيء... حتى يتهيأ للمتخرج في هذا العلم أن يميز بين صور الكلام في عصر وصوره في آخر، بل ربما صح أن يلحق القول بقائله عينِه(٢).

---

(١) ينظر: مقدمة" الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى عثمان لكتابهما: "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" الذي صدر سنة ١٩١٦م، وتقديم الدكتور عمر فروخ لموسوعته "تاريخ الأدب العربي١/٤٢، والدكتور شوقي ضيف في كتابه"البحث الأدبي"، ص٨٣، طبع دار المعارف، سلسة المكتبة الأدبية.

(٢) ينظر: مقدمة" الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى عثمان لكتابهما: "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" الذي صدر سنة ١٩١٦م، ص٥، طبع سنة ١٩٦٧م.

ولكن **جون ليميتري** ثار في وجه دعاة المنهج التاريخي وعمل على تخليص الأدب من قيود العلم التي تتناسى ما فيه من جمال فني هو خير ما فيه، ثم يقف بالأدب عندما يبعثه في نفس القارئ من تأثير وانفعال عقب قراءته أيًّا كان هذا التأثير ودواعيه، ولا يُعنَى بعد ذلك بأحكام يصدرها أو قوانين يدونها، فالأدب فن والنقد مثله لا يتسنى لصاحبهما الخلاص من ذوقه وشخصيته. ولا يزال الأدب يعاني في تاريخه ونقده آثار هذا الصراع الدائم بين مذاهب العلماء ونزعات الفنيين(١)...

وقد درج مؤرخو الأدب العربي على تقسيم العصور الأدبية تقسيمًا يتسق مع تطور التاريخ السياسي؛ لما بين تاريخ الأدب وتاريخ السياسة من تأثير متبادل. **ولكن هذا التقسيم لا يعني أن الظواهر الأدبية تتفق مع العصور التاريخية اتفاقًا تامًّا**؛ وذلك أن الظواهر الأدبية تتداخل قليلاً أو كثيرًا في العصور التاريخية، ولا ترتبط بالأحداث السياسية ارتباطًا كاملاً؛ فالتغيّر في الأدب، والانتقال من حال إلى حال لا يحصل إلاّ بالتدريج البطيء حتى لا يُشعَر – في الأغلب– بالفروق بين الدرجة القادمة، والدرجة التالية لها" (٢).

ويلاحظ على هذا المنهج أن الحدود الفاصلة من أحداث التاريخ المشهورة التي يراها رواد هذا المنهج علامات صالحة للفصل بين مرحلة وأخرى من مراحل تطور التاريخ الأدبي، ليست حدًّا فاصلا كالحد بين البر والماء يختلف جوهر جانبيه، وذلك لم يدر بخلد

---

(١) أصول النقد الأدبي، د/أحمد الشايب ص٩٣، طبع سنة ١٩٦٤م.

(٢) ينظر: تاريخ الآداب العربية لكارل نالينو ص ٦٠–٦١، وتاريخ الأدب العربي، العصر الجاهليّ لبلاشير ٩٢/١، و قضايا الأدب الجاهلي ص١٢٥.

أحد، وإنما هي عملية متواصلة دائمة ترى الشاعر والكاتب يعيش الواحد منهما بين عصرين ولا يقطعه العصر نصفين ولا يشطره الحد شطرين؛ ولهذا فإننا لم نعدم خلافًا بين الدارسين في الحدود الفاصلة بين العصور المتداخلة أو خلافًا في طول هذه العصور وتسميتها [١]! ومن ثم تعرضت "النظرة المدرسية" لكثير من الانتقادات والمعارضات التي تتبنى الوجهة التاريخية، والهجمات والحملات الأدبية من طرف ثلة من النقاد والأدباء المحدثين.أمثال الدكتور طه حسين في كتابيه:" ذكرى أبي العلاء" و"في الأدب الجاهلي[٢]"، والدكتور شكري فيصل الذي أفرد فصلا مهما في كتابه: "مناهج الدراسة الأدبية" لعرض ونقد هذه النظرية المدرسية كما يسميها؛ فالنظرية المدرسية لا تحقق المنهج السليم في الدراسة الأدبية، والأستاذ أنور الجندي، في موسوعته عن مقدمات العلوم والمناهج، وفي كتابه "المنهج الغربي:أخطاؤه وشبهاته"، أن تقسيم الأدب إلى عصور : أموي وعباسي وغيرهما هو تقسيم أجنبي ظالم، فضلا عن وصف عصري الممالك والدولة العثمانية باسم (عصر الانحطاط) بينما هذا العصر عصارة ثمرات تطور الأدب العربي والفكر الإسلامي مما يجعله خليقا بأن يسمى عصر الموسوعات.

وعندما نقد المحدثون النظرية المدرسية لم يكتفوا بالنقد فقط بل حاول بعضهم أن يطرح البديل الذي يراه مناسبا والعوض الذي يجده أفضل من غيره أو مما هو موجود بحدة في ساحة الأدب من هذه التقسيمات التي اعتمدت تحقيب الأدب على الشكل الذي

---

(١) ينظر: الأدب العربي في عصر الأصالة للدكتور كاظم الظواهري ص١٠. وراجع: مقدمة في النقد الأدبي ص٢٨٠، وفي الأدب الجاهلي ص١٢٢، د/هاشم صالح مناع.

(٢) ينظر: في الأدب الجاهلي ص٣٩، وما بعدها..

سبق ذكره.. ونجد في هذا المضمار عدة محاولات منها على سبيل المثال محاولة الدكتور نجيب محمد البهبيتي الذي يقترح وبإلحاح تسميات وتقسيمات وتحقيبات يرى أنها أقرب للدلالة على المراد من تاريخ الشعر العربي – الذي هو جزء من تاريخ الأدب – في زعمه، لذلك نجده يقترح (العصر الفني) بدل العصر الجاهلي، و(العصر العاطفي) عوض الإسلامي بشقيه، و(العصر العقلي) مكان العصر العباسي، يقول: إنه: "قد قسم أقسامًا، جعل كل منها لعصر من عصور تاريخ هذا الشعر؛ فقسم منه لشعر (العصر الفني) أو الجاهلي، وقسم منه لشعر (العصر العاطفي) وهو العصر الأول من عصر الشعر الجديد، وقسم منه لشعر (العصر العقلي) وهو الثاني من عصري ذلك الجديد[١]...

وهناك محاولات عديدة في هذا الباب منها ما لم يكتب له الشيوع ولم يجد له من القوم سندًا، ومنها ما لم تتضح معالمه بجلاء كتلك التي تعتمد على الفكر الماركسي في تحقيبه للتاريخ .. **وعلى الرغم من هذه الملاحظات والاعتراضات فإن هذه النظرية المدرسية التقليدية لا تزال مهيمنة** على مناهج الدراسة الأدبية والنقدية، على الرغم من قدمها واستحداث نظريات كثيرة بعدها. وقد غدت تلك النظرية اتجاهًا أوشك أن يكون "مقدسًا" لا يجرؤ أحد على كسره والخروج عنه، وبقيت كل الأصوات الصادقة التي نادت بالإصلاح وقدَّمت البديل عنه، بعيدة، لم تجد استجابة، ولم تلق تنفيذًا لما تدعو إليه[٢].

---

(١) راجع مقدمة الطبعة الأولى من كتابه "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري" ص١١.

(٢) ينظر: نظريات في دراسة المنهج الأدبي للدكتور السيد عبدالحليم محمد حسين

..http: //www.alukah.net/literature_language

إن النظرية المدرسية ليست شرًّا كل الشر كما أنها ليست خيرًا كل الخير، أو أن منهجها غير صالح بتاتًا، بل إن لها مسوغات يمكن قبولها، إلى حد ما، إذا ما نظرنا إلى الظروف والأحوال الحياتية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في فترة من فتراته جعلت أدباءه ومؤرخيه ينهجون هذا المنهج ويختارونه ويستعينون بتلك التقسيمات(١).. إنه منهج ناجع في درس الأدب العربي وبحثه، وآتى ثماره الفاعلة، فقدم لنا مجموع الخصائص الفنية المشتركة بصورة عامة في فترة زمنية محددة، وفي بيئة معينة، ويساعد على انتشار هذه الخصائص فيها علاقاتٌ اجتماعيةٌ، لها أهميتها في توحيد سماتها العامة. والعصر الأدبيّ يستمدّ باستمرار تلك الخصائص حيّة شائعة في البيئة، وينتهي أو يتغير بظهور مؤثرات جديدة تنقلها من عصر أدبي إلى عصر أدبي آخر(٢).

يقول الدكتور إحسان عباس: "إن الذين يدعون إلى الثورة على التراث يدركون مدى حضور الماضي في الحضارة الحديثة – عمدًا لا عفوًا – في صورة معالم أثرية كبرى ومدونات كتابية ومتاحف وبحث عن الآثار ومناهج جامعية لدراسة تاريخ كل شيء: (تاريخ الفلسفة، تاريخ العلوم، تاريخ الأدب، تاريخ الاقتصاد) وغير ذلك من صور تجعل الماضي حيًّا في الحاضر(٣)؛

---

(١)راجع الرابط:http://www.mazameer.com/vb/archive/index.php/t-١٤٧٥٢.html

(٢) ينظر: الشعر الجاهليّ، مراحله واتجاهاته الفنية للدكتور/ سيد حنفي، ص٦، نقلاً عن: قضايا الأدب الجاهلي ص١٢٢.

(٣) اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص١٢٧،د/إحسان عباس ، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٨م.

فالهجوم عليه والدعوة إلى رفضه وإلغائه مغرضة، صادرة غالبًا من قبل أعداء ماضي الأمة وتراثها! ولكن ينبغي أن يراعى أنه لا أحد يماري في اختلاف التحقيب السياسي عن التحقيب الأدبي في كل الحضارات!

المبحث الثاني: قراءة في أحقاب الأدب العربي

التحقيب للأدب العربي جاء على ثلاثة أنماط، شاملة لخط سير الأدب العربي عبر أعصاره وأمصاره الكثيرة والمتنوعة، وهي تنبني على التقسيم الأعلى لهذا الأدب حسب جغرافية وزمنية مبدعيه: مشارقة، ومغاربة، ومحدثين، وذلك على النحو التالي:

أولا: تحقيب الأدب المشرقي:

أكثر من أرخوا الأدب العربي المشرقي وزعوا حديثهم عنه على ستة أحقاب أساسية، هي :

العصر الجاهلي[١٥٠ق.هـ-١هـ]:

قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة؛ فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع؛ إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية؛ بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة.. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام[(١)]". وهي ملاحظة دقيقة؛ لأن ما قبل هذا التاريخ مجهول.

---

(١) الحيوان للجاحظ "طبعة الحلبي" ١/ ٧٤. وينظر العصر الجاهلي ص٣٨.

عصر صدر الإسلام: [١هـ-٤٠هـ]:

ويمتد منذ ظهور الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة إلى نهاية الحكم الراشدي في السنة الأربعين من الهجرة النبوية. وينقسم هذا العصر إلى عهدين:

-**العهد النبوي**:ويبدأ من السنة الأولى للهجرة النبوية إلى السنة الحادية عشرة، سنة وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم.

-**العهد الراشدي**:ويبدأ منذ تولي سيدنا أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- مقاليد الخلافة في السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية، وينتهي بوفاة سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- في السنة الأربعين.

العصر الأموي[٤١هـ-١٣٢هـ]:

ويبدأ منذ تأسيس سيدنا معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- الخلافة الأموية في السنة الحادية والأربعين للهجرة النبوية، وينتهي بوفاة مروان بن محمد، آخر خليفة أموي في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة الأولى للهجرة النبوية الشريفة [١].

(١) ومن الباحثين من يدمج عصر صدر الإسلام في العصر الأموي ويجعلهما عصرًا واحدًا، تحت مسمى: "العصر الإسلامي"، مثل الدكتور شوقي ضيف في موسوعته"تاريخ الأدب العربي"... ويجعله العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية...

العصر العباسى[١٣٢هـ-٦٥٦هـ]:

حفل العصر العباسي بالأحداث الجسام من تقلبات سياسية وتغيرات اجتماعية انعكس تأثيرها علي الحياة الأدبية عبر قرون خمسة مثلت حقبة زمنية طويلة لحكم الدولة العباسية؛ فقد بدأ منذ تأسيس أبي العباس السفاح الخلافة العباسية في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، وينتهي بمقتل الخليفة المستعصم أثناء غزو المغول بغداد في السنة السادسة والخمسين بعد المائة السادسة للهجرة النبوية الشريفة. وبلغ عدد الخلفاء العباسيون سبعًا وثلاثين خليفة. وللطول الزمني لهذا العصر اضطر الباحثون إلى تقسيمه إلى عصرين أو ثلاثة أو أربعة، **على النحو الآتي:**

التقسيم الثنائى للعصر العباسى:

وقد تابع مؤرخو الأدب المؤرخين في هذا التقسيم، ورأى بعضهم أن يقسم العصر العباسي **إلى قسمين فقط هما:**

***العصر العباسي الأول (١٣٢ هـ . ٣٣٤ هـ).**

***العصر العباسي الثاني (٣٣٤ هـ . ٦٥٦ هـ).**

وهناك من يحدد هذين العصرين تحديدًا آخر، مفاده:

***العصر العباسي الأول(١٣٢-٢٤٧هـ)**

***العصر العباسي الثاني(٢٤٧-٦٥٦هـ)**

التقسيم الثلاثى للعصر العباسى:

قُسِّم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام، على النحو التالي:

***العصر العباسي الأول(١٣٢-٢٤٧هـ)**

***العصر العباسي الثاني(٢٤٧-٣٣٤هـ)**

***العصر العباسي الثالث(٣٣٤-٦٥٦هـ)**

التقسيم الرباعى للعصر العباسى:

***العصر العباسي الأول(الذهبي):** ويبدأ من قيام الدولة عام ١٣٢هـ وينتهي بتولي المتوكل الخلافة عام ٢٣٢هـ.

***العصر العباسي الثاني(التركي):** ويبدأ من تولي المتوكل عام ٢٣٢هـ. وينتهي بسيطرة البويهيين عام ٣٣٤هـ.

***العصر العباسي الثالث(البويهي):** ويبدأ بسيطرة البويهيين عام ٣٣٤ هـ وينتهي ببدء نفوذ السلاجقة عام ٤٤٧ هـ.

***العصر العباسي الرابع(السلجوقي):** ويبدأ بسيطرة السلاجقة عام ٤٤٧هـ.وينتهي بسقوط بغداد في يد هولاكو عام ٦٥٦ هـ[١].

---

(١) ينظر: العصر الجاهلي ص١٤-١٥، وتاريخ الأدب العربي، ٥٨/١، د/عمر فروخ، ومقدمة في النقد الأدبي ص٢٨٠، وفي الأدب الجاهلي ص١١٩، ودراسات في الأدب الجاهلي ص١١، عبدالعزيز نبوي، طبع القاهرة سنة ١٩٨٨م.

وأرى أن العصر العباسي ينتهي عند ضعف الخلفاء العباسيين وتحكم الأعاجم فيهم، وبالتحديد منذ عهد الخليفة "المتوكل(٢٠٥-٢٤٧هـ)"[١]: عهد ضعف الدولة العباسية وانحلالها إلى دويلات مستقلة متتابعة.. ولا أشك في أن هذا التحديد لنهاية العصر العباسي أكثر دقة ومطابقة لتطوره وللظروف المختلفة التي أثرت فيه؛ فإن بغداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجري تحتل المكانة الأولى في الحركات الأدبية؛ بل لقد نافستها في الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها في النهوض بالشعر والنثر تفوقًا واضحًا مثل الأندلس و دمشق وحلب والقاهرة.

عصر الدول المتتابعة[٦٥٦هـ-١٢١٣هـ]:

ويبدأ عند أكثر الباحثين منذ سقوط الخلافة العباسية على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ، وينتهي بتحرر العالم العربي من حكم الخلافة العثمانية ووقوع أغلبه فريسة للاحتلال الأوربي سنة ١٢١٣هـ=١٧٩٨م.ويقسم إلى عهدين:

***العهد المملوكي(٦٤٨هـ-٩٢٢هـ).**

***العهد العثماني(٩٢٢هـ-١٢١٣هـ).**

---

(١) وكان من أهم أسباب ضعف الدولة العباسية اعتماد العباسيين على العناصر الأجنبية في النواحي العسكرية والإدارية في الدولة، وهو ما قوّى شوكتهم ونفوذهم في بلاد الخلافة على حساب العرب الذين ضعفت عصبيتهم، وتدنَّت منزلتهم في الدولة، ولم يَعُد لهم مكان في المناصب العليا فيها، وقد أدى استبداد تلك العناصر بالحكم إلى إثارة حفيظة العرب عليهم، واشتعال نار الحقد والعداوة في نفوسهم؛ وهو ما أجَّج الصراع والعداء بينهم، وأكثر الفتن والصراعات في المجتمع، وظهر العديد من الفرق والمذاهب التي ساهمت في بثِّ الفرقة والانقسام بين المسلمين وتفتيت وحدة الأمة وتعريضها للخطر؛ فظهر الملاحدة والزنادقة كالخرمية والراوندية، كما ظهرت طوائف المتكلمين كالمعتزلة. كما حفل العصر العباسي بالأحداث الجسام من تقلبات سياسية وتغيرات اجتماعية انعكس تأثيرها علي الحياة الأدبية عبر قرون خمسة مثلت حقبة زمنية طويلة لحكم الدولة العباسية..

وقيل غير ذلك في تحديد بداية هذا العصر ونهايته، فمن المؤرخين من يضم الفترة السلجوقية والأيوبية إلى هذا العصر، أي أنه يبدأ سنة ٤٤٧هـ؛ فالعصران: (العباسي والدول المتتابعة) ممتزجان، لا يمكن الفصل بينهما بسهولة ويسر، وهذا ما يؤكد الفكرة الشائعة بين مؤرخي الأدب من أن العصور الأدبية المختلفة تحمل بعض الخصائص والمؤثرات من العصور السابقة، ويمتد أثرها إلى العصور اللاحقة، ويصعب تحديدها بالأحداث السياسية.

وما يهمنا في هذا الصدد هو أن نقرر أن عصر الدول المتتابعة يبدأ عند بداية ضعف الخلافة العباسية، ويعد القرن الرابع الهجري خير تحديد لبداية هذا العصر، وليس الخامس أو السابع، وأن وجهة نظر الدكتور شوقي ضيف في موسوعته(عصر الدول والإمارات) تعد صائبة إلى حد كبير؛ فقد تفككت أوصال الدولة العباسية وظهرت إمارات وخلافات ودول كثيرة كإمارات الفرس في إيران وما وراءها وسيف الدولة الحمداني في حلب والفاطميين ثم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين في مصر والأمويين ثم ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ومن خلفوهم في الأندلس. وحريّ أن يبحث الأدب العربي في هذا العصر الرابع ويؤرَّخ في كل إقليم على حدة؛ فيكون هناك جزء لإيران والعراق وجزء لمصر والشام والجزيرة العربية وجزء للأندلس وبلاد المغرب، وقد ينمو البحث وتتولد أجزاء أخرى..

ولهذا العصر مسميات أخرى عند الباحثين، منها العصر التركي، العصر المغولي، العصر المملوكي والعثماني، عصر الانحدار، العصور المتأخرة، العصر الوسيط...إلخ وبعضها أسماء تحمل طابع التعميم بالحكم النقدي على العصر كله؛ انسياقًا وراء نظرة بعض

المستشرقين لهذه الحقبة الطويلة.ويعد هذا العصر – باتساعه الزماني والمكاني– بكرًا في كثير من مناطقه، يحتاج إلى مزيد من الجهد البحثي الأكاديمي المتنوع؛ حتى تتضح معالمه، وتظهر أعلامه، ونصل فيه إلى رؤى نقدية سليمة منطقيًّا ومنهجيًّا، تعتمد على استقراء تام، واستنطاق عميق لنصوصه وآثاره.

وللدكتور عمر فروخ تقسيم طريف خاص، مركز مكثف؛ إذ يقسم هذه المدة الزمنية الطويلة جدًّا، ستة عشر قرنًا، إلى ثلاث حقب، هي:

الأدب القديم: ويبدأ من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي(١٣٢هـ/٧٥٠م).

الأدب المحدث: ويبدأ من سقوط الدولة الأموية إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

الأدب الحديث: ويبدأ من مطلع القرن التاسع عشر الميلادي إلى يومنا هذا[١].

وعلى الرغم من طرافة هذا التحقيب وإيجازه وتكثيفه وتطبيق الدكتور فروخ له في موسوعته؛ إلا أنه ما زال التحقيبُ المدرسيُّ الذي يتبع التعصير السياسي هو القائمَ والجاثم والمنتشر!

(١) ينظر تاريخ الأدب العربي ٨٥/١، وفي الأدب الجاهلي ص١٢١، د/هاشم صالح مناع.

ثانيًا: تحقيب الأدب المغربى:

يقصد بالأدب المغربي ذلك الأدب الذي أبدع في الحقبة التي توازي العصر العباسي وعصر الدول المتتابعة من الأدب المشرقي، وتسمَّى في الكتابات المشرقية بالعصر الأندلسي الذي يبدأ منذ الفتح الإسلامي للأندلس سنة ٩٢هـ ويسير مارًّا بحادث سقوط الأندلس سنة ٨٧٩هـ/١٤٩١م، وما زال مستمرًّا وفاعلاً ومتطورًا إلى وقتنا هذا . ولطول هذه المدة تُقسَّم الحقبة الأندلسية إلى عدة حقب، على النحو التالي:

عهد الولاة: وهو الفترة التي حكم فيها ولاة تابعون لخلفاء بني أمية ثم بني العباس، منذ سنة ٩٢هـ وينتهي إلى سنة ١٣٨هـ حيث قيام دولة الأمويين.

العهد الأموي والطوائفي: ويبدأ من سنة ١٣٨هـ وينتهي في سنة ٤٨٤هـ، بقيام عصر المرابطين والموحدين.

العهد المرابطي والموحدي: ويبدأ من ٤٨٤هـ وينتهي في سنة ٦٣٠هـ بقيام دولة بني الأحمر...

عهد بني الأحمر(الغرناطي): ويبدأ من سنة ٦٣٠هـ وينتهي في سنة ٨٧٩هـ بسقوط آخر الممالك الإسلامية بالأندلس وطرد المسلمين منها... ويحقَّب تحقيبات أخرى[١].

---

(١) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، للدكتور أحمد هيكل، طبع دار المعارف، وفي الأدب الجاهلي ص١٢١، د/هاشم صالح مناع.

هذا إضافة إلى ما أبدع في بقاع الشمال الغربي للوطن العربي، و توجد جهود مشكورة ودراسات جادة من قبل الباحثين العرب لاسيما المغاربيين منهم، تناولت تحقيب الأدب والثقافة بالغرب الإسلامي[١]، مثل دراسة العلامة عبد الله كنون(ت١٩٨٩م)، في كتابه: "النبوغ المغربي في الأدب العربي"، والذي قسمه إلى حقب، هي: عصر الفتوح، عصر المرابطين والموحدين، عصر المرينيين، وعصر السعديين، وعصر العلويين[٢]. ودراسة الأستاذ محمد ابن تاويت التطواني (ت١٩٩٣م) في كتابه:" الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"[٣] الذي قسمه إلى حقب تختلف عن حقب العلامة "كنون" في اعتماد الوحدة السياسية والأيديولوجية: ما قبل العصر المرابطي، العهد المرابطي، العهد الموحدي، العهد المريني، الدولة الوطاسية، العهد السعدي إلى وفاة المنصور، العصر العلوي قبل فرض الحماية، عهد الحماية.

وهذا التحقيب الذي يرى أن كل دولة تشكل حقبة حضارية وفكرية وأدبية تبناه العديد من الدارسين العرب عامة، والمغاربة خاصة، فقد جعل محمد حجي من العصر السعدي حقبة في كتابه:"الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين"[٤].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: أشكال التحقيب والنزعة الإقليمية في أعمال محمد مفتاح دراسة تحليلية نقدية، للباحث/محمد قراش، رسالة ماجستير في كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر، سنة ٢٠٠٦م، وأثر التحقيب السياسي في التحقيب الأدبي بالمغرب للدكتور عبدالجليل شوقي، مقال منشور في مجلة المثقف على الرابط:http://almothaqaf.com/index.php/qadaya٢٠٠٩/٦٢٤٨٨.html .

(٢)صدر عن دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، ١٩٦١م..

(٣) صدر عن دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٣م.

(٤) دار المغرب للنشر، ط١، ١٣٨٦هـ..

ويحاول الأستاذ محمد مفتاح تحقيب الأدب المغربي، منطلقًا من تحديد السمات المشتركة بين الأدب العربي والأدب المغربي، وأن هناك خصائص تميز الأدب المغربي من سواه . وإذا كان إثبات السمات المشتركة ليس فيه عناء، إذ يتجلى في اللغة وفي التركيب وفي الصور وفي الأغراض فإن ما يكون فيه عناء هو إثبات الخصوصية العميقة، وأما الخصوصية الظاهرة فهي بيِّنة للعيان في الموشحات وفي الأزجال وفي الملحون، وبهذا المنظور، فإن الأدب المغربي منشطر إلى نوعين: نوع مقلد للمشرق، ونوع مغربي خاص.

وأطروحة محمد مفتاح تحاول أن تتجاوز هذا الانشطار الظاهر إلى البحث عن النواة الموجهة للثقافة المغربية بما فيها من علوم شرعية وعقلية وأدبية؛ فقد خصص بعض الفصول في كتابه: "التشابه والاختلاف" لقضية التحقيب في الأدب المغربي مقترحًا تحقيبًا يعده جديدًا، ومخالفًا لما سبق، وذلك بالاستناد إلى نواة تعد الروح الناظمة له وهي:" الدعوة إلى الاتحاد للقيام بالجهاد"، ويخضع هذا التحقيب في نظره للأحداث التاريخية التي مر بها المغرب منذ الفتح الإسلامي، وخصوصا دخول الإسلام عام ٦٢هـ وفتح طارق بن زياد الأندلس عام ٩٢هـ، ليتلو ذلك الاستقلال السياسي للأندلس عن العدوة الدنيا، فهذه الأحداث شكلت أربع حقب:

حقبة الهيمنة: وتمتد من فتح الأندلس عام ٩٢هـ إلى سقوطها سنة ٨٩٢هـ.

حقبة التحصين: وتمتد من سقوط الأندلس إلى الانتصار في وقعة وادي المخازن (٩٨٦هـ/١٥٧٨م).

حقبة البعث: وتمتد من وقعة وادي المخازن إلى فرض الحماية (١٣٣٠هـ/١٩١م)

حقبة استكمال التحرير وبناء الدولة العصرية، وتمتد من فرض الحماية إلى يومنا هذا[١].

ثالثًا: تحقيب الأدب الحديث:

يبدأ العصر الحديث عند عدد كبير من الباحثين منذ دخول الفرنسيين مصر سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨، حتى آننا هذا، ويعرض الأدب العربي فيها محددًا بعنصر المكان حسب البلاد العربية المختلفة، بسبب كثرة الإبداع والمبدعين كثرة تستعصي على أن تدرس بطريقة إجمالية شمولية!

إن كثير من المؤرخين يذهبون إلى أن عصر الأدب الحديث يبدأ منذ زوال الحكم العثماني ومجيء الاحتلال الغربي لوطننا العربي، يقول د/أحمد هيكل: "يبدأ العصر الحديث للأدب العربي في مصر – بل للتاريخ المصري كله– بتلك السنوات التي شهدت خروج البلاد من ظلمات العصر التركي، لتفتح عيونها على نور الحضارة الحديثة، ولتأخذ طريقها في موكب المدنية المتقدمة، وذلك بعد أن أغمضت عيونها عن النور، وعوقت خطاها عن السير زهاء ثلاثة قرون، هي مدة الحكم التركي الكريه. ومن الممكن تحديد تلك البداية، بسنوات الحملة الفرنسية من سنة ١٧٩٨م إلى ١٨٠١م، أي بأواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر... ويعلل الدكتور هيكل هذا التحديد قائلاً:" وليس ذلك باعتبار الحملة الفرنسية خيرًا أسدى إلى مصر، بل باعتبارها عملًا عدوانيا مدبرًا، أثار في

(١) التشابه والاختلاف: نحو منهجية شمولية، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط١، البيضاء، ١٩٩٦م، ص:١٦٣–١٨٦. وراجع تفصيل ذلك في مقال:""أثر التحقيب السياسي في التحقيب الأدبي بالمغرب آراء ومرجعيات" للدكتور/ عبدالجليل شوقي، المنشور في صحيفة المثقف، على الرابط .http://almothaqaf.com/index.php/qadaya٢٠٠٩/٦٢٤٨٨.html

مصر ما كمن من عناصر القوة، فقد اتخذت الحملة الفرنسية من العلم أسلحة ضمن أسلحتها، ومن العلماء جندًا في عداد جندها، ومن هنا رأى المصريون في تلك الحملة علما غير ما يعرفون، وعلماء غير ما يعهدون، وأدركوا خطورة ذلك كله عليهم أن لم يكن لهم مثله، فتطلعوا إلى نور الحضارة الحديثة، وبدءوا التأهب للسير في موكب المدنية المتقدمة.. وهكذا كانت تلك الحملة تنبيهًا غير مقصود لعناصر القوة في الشعب المصري العظيم، تمامًا كما تنبه عناصر المقاومة في جسم الكائن الحي، حين يتسلل إلى دمه مكروب يريد أن يفتك به، فيتسلح الجسد بما فيه من قوى كامنة، ويقاوم بما احتفظ به من حيوية محجبة، وحينئذ قد يكسب مناعة أقوى مع الزمن، وصحة أتم على الأيام[١]".

ويذهب آخرون إلى جعل بداية العصر الحديث محددة بحدث نضالي يفخر به وليس حدثًا احتلاليًّا استعماريًّا استدماريًّا، وذلك يتمثل في تولي محمد علي حكم مصر، أو حركات التحرر من الاحتلال التركي–في نظرهم– أو الغربي، أو الحركات الدعوية الإصلاحية في ربوع الوطن العربي كالحركة الوهابية في الجزيرة العربية، والحركة المهدية في السودان، والحركة السنوسية في ليبيا والجزائر....

والرأي الوسط في ذلك أن نحدد بداية العصر الحديث زمنيًّا لا حدَثيًّا، وبطريقة معممة وليست مفصلة، كأن نقول: إن العصر الحديث بدأ في مستهل القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وتاريخ الأدب العربي في العصر الحديث طويل المدة الزمنية، متنوع المساحة الجغرافية جدًّا، لا يمكن لباحث أن يدرسه دراسة علمية استقصائية في

(١) تطور الأدب العربي الحديث في مصر ص١٣.

كتاب واحد؛ لذا لجأ كثير من الباحثين إلى تقسيمه أقسامًا، حسب توجه كل دارس، منهم الدكتور أحمد هيكل الذي لجأ إلى معيار المنهج التاريخي في التقسيم، قائلاً:" تعاقبت السنون منذ تلك البداية إلى عهدنا الحاضر، ومر الأدب –والتاريخ المصري كله– بفترات مختلفة، لكل منها طابع خاص؛ ولذا يحسن أن يقسم هذا العصر الحديث الطويل، الذي يبلغ نحو قرن وثلثي قرن إلى فتراته المختلفة، التي يتميز كل منها –إلى حد كبير– بطابعه السياسي والاجتماعي والثقافي، ثم بطابعه الأدبي، نتيجة لذلك كله، وبهذا يتيسر الدرس، ويكون أقرب إلى الدقة، **وتلك الفترات هي:**

الفترة الأولى: من الحملة الفرنسية إلى ولاية إسماعيل من١٧٩٨ إلى ١٨٦٣م.

الفترة الثانية: من ولاية إسماعيل إلى الثورة العرابية من ١٨٦٣ إلى ١٨٨٢م.

الفترة الثالثة: من الاحتلال البريطاني إلى نهاية ثورة ١٩ من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٢م.

الفترة الرابعة: فترة ما بين الحربين من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٩م.

الفترة الخامسة: من الحرب العالمية الثانية إلى قيام ثورة ٢٣ يولية من ١٩٣٩ إلى ١٩٥٢م.

الفترة السادسة: من قيام الثورة إلى اليوم من ١٩٥٢ إلى اليوم[١].

ولكنه تقسيم معتمد على الحالة السياسية في وطن عربي واحد هو مصر، دون نظر إلى بقية أجزاء الأمة العربية. وهذا من أهم المزالق التي تنال من كثير من الدراسات المؤرخة للأدب العربي في العصر الحديث؛ فمعظمها يتحول نحو الوجهة القُطْرية الإقليمية الجزئية القاصرة!

---

(١) السابق ١٤.

ويلاحظ على معظم مؤرخي العصر الحديث ومُحَقِّبي الأدب الحديث تجاهلهم لأثر الأزهر الشريف ودوره في النهضة الأدبية الحديثة، بطريقة تكاد تكون متعمدة، نابعة من نظرة استعلائية إقصائية يعرفها القاصي والداني للأسف! ويعد كتاب "الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة" للأستاذ/ محمد كامل الفقي– الذي يعرض فيه المؤلف نماذج لشخصيات أزهرية مؤثرة في النهضة الأدبية مثل الشيخ حسن العطار(١٧٦٦–١٨٣٥م)، والشيخ رفاعة رافع الطهطاوي(١٨٠١–١٨٧٣م)، والشيخ حسين المرصفي(١٨١٥–١٨٨٩م)، والشيخ محمد عبده(١٨٤٩–١٩٠٥م)، والشيخ حمزة فتح الله(١٨٤٩–١٩١٩م)... وغيرهم، ويتناول الشعر في العصر الحديث وشعراء الأزهر، والتجديد في الشعر ونظر علماء الأزهر إلى الشعر– من أبرز الجهود التي أزالت هذا الغبن الواقع على مؤسسة الأزهر شيوخًا وأدباء وباحثين...

الأدب المعاصر:

أما مصطلح "الأدب المعاصر" فهو في اللغة" المواكب والمتابع والمعايش والمعاشر". وله مفاهيم عدة، منها:

يرى أستاذي الدكتور السيد أبوذكري–رحمه الله– أن الأدب المعاصر هو الذي نتأدب بآثاره، مثل ثورة ١٩١٩م حتى اليوم، وهذا يعني أن فترة المعاصرة تجاوزت سبعين عامًا، تساوي عمر الأديب –تقريبًا، وهو امتداد زمني كاف لإبراز خصائص معينة في حياة جيل من الأدباء، تعاصروا في حقبة معينة من الزمن، وكانت لهم انطباعاتهم الخاصة وسماتهم الفنية، التي تميزهم عن سابقيهم ولاحقيهم. ويضيف أن المعاصرة في الاصطلاح ذات مفهومين:

أحدهما زمني، يقصد به وجود مجموعة من الأدباء طوال الفترة من ثورة سنة ١٩١٩م حتى اليوم. وظاهر أن هذا المفهوم الزمني خاص بعمر أستاذنا المؤلف، وليس عمر الجيل الحالي!

وثانيهما فني: يعني المشاركة الأدبية الفعالة بين المتعاصرين، من حيث تأثرهم بأحداث العصر وتأثيرهم فيها، ومن حيث انفعالهم بالتيارات الأدبية الوافدة عليهم من الشرق أو الغرب(١). أي استيعاب المعاني والأغراض الجديدة التي تذخر بها الحياة في يومها الذي تحياه قياسًا على الأغراض التي اتسع لها الشعر الغربي.

وقد اختلف النقاد في الميل إلى أي المفهومين، فمنهم من يقدم المفهوم الزمني ويرى أن مشاركة الزمن تستتبعها مشاركة التأثير بالأحداث المحيطة. ومنهم من يرى أن شرط المعاصرة هو المشاركة الفعالة في تيارات العصر وأحداثه، فكم من أديب في رأيهم يعيش بين ظهرانينا ولا يزال قديمًا في أفكاره وأساليبه واختيار الموضوعات التي يتناولها والمنهج الذي يسلكه ويؤثره. ويلاحظ أن درجة التأثير بالأحداث والتيارات تختلف من أديب لآخر، حيث تتضافر عوامل عديدة في تكوينها، كالقرب أو البعد من منبع التيارات، ومسرح الأحداث، ومدى استعداد الأديب في تقبل الجديد أو رفضه بجانب ثقافته وتجاربه واطلاعه ومستوى تعليمه مما يؤهله للتأثير عليه.

---

(١) الأدب العربي الحديث في تطوره ومدارسه واتجاهاته ص٢٠–٢١، طبع دار الوفاء الحديثة بشبين الكوم سنة٢٠٠٥م.

يقول الأستاذ العقاد:" الشعر العصري ليس نوعًا جديدًا من الشعر وليس ضربًا جديدًا من الشعر، بل صفة العصرية تعني أولاً وأخيرًا الفهم الجديد والحق للشعر... الشعر العصري كشعر العرب في أنه مستمد من الطبع وأنه أثر من آثار روح العصر في نفوس أبنائه، فمن كان يعيش بفكره ونفسه في غير هذا العصر فما هو من أبنائه، وليست خواطر نفسه من خواطره"(١).

ويقول الدكتور إحسان عباس مقررًا الاتجاه العقادي السالف:" وحين ترد كلمة "المعاصر" في عنوان هذا البحث ، فإنها قد تتسع لتشمل الشعر منذ مطلع هذا القرن، وقد تضيق فتقتصر على شعراء الحقبة الأخيرة ، ففي هذه اللفظة من الخداع الزمني ما في لفظة " الحديث "؟ على تفاوت في ذلك الخداع – وقد أثرت أن أقصر هذا البحث على الثلاثين سنة الأخيرة، **لعدة عوامل:** منها أن ما قبل هذه الفترة قد دارت حوله دراسات كثيرة، بينا لا تزال هذه الفترة بحاجة إلى مزيد من الدراسات، ومنها أن شعر ما قبل هذه الفترة لا يمثل مشكلة تحتاج تبسيطا، لأنه مباشر متصل بأسباب التراث على نحو وثيق، ومن تلك العوامل أيضا أن الإيجاز لن ينصف هذه الفترة لأنه؟ في أكبر تقدير – سيمنحها إلى جانب غيرها فصلا واحدا، وهذا مجال محدود لا يكاد يتسع لحركة شعرية مديدة الأبعاد كثيرة المظاهر"(٢).

---

(١) راجع في الأدب الحديث٢/٢٧٢، د/عمر الدسوقي، دار الفكر العربي سنة ٢٠٠٠م، والحوار الأدبي حول الشعر، ص٤٧٠، د/محمد أبوالأنوار، طبع دار المعارف سنة ١٩٨٧م..

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص٣، د/ إحسان عباس، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، سنة ١٩٧٨م..

ويقول الدكتور عز الدين إسماعيل:" وهنا يأتي هذا السؤال: أي الأدبين على هذا الأساس أكثر قيمة، الأدب القديم أم الأدب الحديث؟ إن النشاط المعاصر هو النشاط الوحيد المهم حقا بالنسبة لنا، وأدب الزمن القديم لا قيمة له عندنا إلا لأنه ينير الحياة التي نحياها. فالأدب يكتب أولًا لهؤلاء الأحياء القادرين وحدهم على أن يستخرجوا منه الحد الأقصى من كمية المعنى، والنشاط الأدبي جانب حيوي من جوانب الحياة، فلا يستطيع إنسان أن يحيا حياة ممتلئة دون أن يهتم بكل نوع من أنواع النشاط المعاصر. وكما أن العلم المعاصر يهم العالم أكثر من علم العصور السابقة...، فكذلك الأدب المعاصر، ينبغي أن يكون من الأهمية عند رجل الأدب في المكان الأول. ومعنى هذا أن الأدب الحديث أكثر قيمة؛ لأنه أكثر صلة –بالنسبة لنا– بالحياة التي نحياها، فقد نشأ فيها، وتبع منها"(١).

ومهما يكن فإن فترة الأدب المعاصر أضيق من فترة الأدب الحديث؛ لأن المعاصرة تعني حياة المتعاصرين وانفعالاتهم بالأحداث التي تحيط بحيواتهم، والزمن الذي تستغرقه المعاصرة لا يقل عن خمسين عامًا مضت من حياة المتعاصرين. أما مفهوم الأدب الحديث فلا يتغير بامتداد الزمن، مهما تعددت عصور المستقبل. بينما مفهوم الأدب المعاصر قابل للتغيير. فما في عداد المعاصر اليوم لا يكون معاصرًا حين يحل غيره محله، ويفقد معنى المعاصرة. ومفهوم مصطلح الحديث أوسع مجالاً وأعمق مدًى من الثانية، فكل أدب معاصر يعد أدبًا حديثًا، وليس كل حديث يدخل في مفهوم المعاصر إلا على نحو محدود.

فلسنا في مجال الأدب مفضلين الماضي على الحديث أو المعاصر بطريقة إجمالية كما في قول لبيد –رضي الله عنه–:

---

(١) الأدب وفنونه – دراسة ونقد ص٤٩، د/ عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي.

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب[١]

ولقد أحسن القائل:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديما

إن هذا القديم كان جديداً وسيبقى هذا الجديد قديما[٢]

فهو اصطلاح غير جامع ولا مانع؛ لأن المعاصرة ليست خاصة بعصر دون عصر، أو مَصر دون مَصر!

وينبغي أن أقرر أن من المزالق الخطيرة التي تنال من الدراسات المؤرخة للأدب العربي الحديث أنها تتجه وجهة إقليمية متخصصة قاصرة، دون أن تقدم رؤية شاملة عن الحركة الأدبية في الوطن العربي كله، فيحدث تجاهل لبعض البقاع العربية التي كان لها دور فاعل في الإبداع الأدبي الحديث! كما أنه من الملاحظ أن مصطلح "الأدب المعاصر" ما زال غير جامع ولا مانع؛ لأن المعاصرة ليست خاصة بعصر دون عصر، أو مصر دون مصر! فينبغي الاتفاق على تحديد زماني ومكاني وفني لهذا المصطلح؛ للفصل بين الحديث والمعاصر فصلاً مقبولاً علميًّا ومنطقيًّا. إن من الصواب أن يقرأ الأدب بلسان أصحابه، وأن نستمع إليه بآذانهم، وأن نتذوقه بأذواقهم، وإذا ما قرأناه بعيون

(١) الأمثال للقاسم بن سلاّم الهروي (ت: ٢٢٤هـ)ص٧٦، تحق/الدكتور عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث طبع١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

(٢) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، لابن معصوم المدني، ص: ٧، طبع علي بن علي، دولة قطر١٣٨٢هـ.

غربية، وتذوقناه بأذواق أجنبية، وعزلنا هذا الشّعرَ عن بيئته، فإنّه يفقد متعته الفنيةَ الآسرة، وبريقه الأخّاذ(١).

منهج أزهرى فريد فى التحقيب:

يعد أستاذي الدكتور محمد كاظم حسن الظواهري–حفظه الله– من الأزهريين القلائل المعنيين بمناهج تدريس الأدب العربي، الذي كان –ومازال– يبدأ بها محاضراته في تدريس مقرر تاريخ الأدب في أي عصر من العصور، سواء في مرحلة الإجازة العالية أو الدراسات العليا، وقد سجل رأيه في هذه المناهج، منطلقًا من أن التحقيب القائم على تبعية الإبداع الأدبي للتقسيمات السياسية وتعاقب الدول لا يعطي أحكامًا دقيقة وسمات واضحة عن أدب كل حقبة؛ إذ لا يمثل التقسيم التاريخي حدودًا فاصلة أو فوارق دقيقة بين مرحلة أدبية وما يليها، فلا تنتهي النكهة الخاصة بالأديب في إبداعه وتبدأ فيه روح أخرى لمجرد ذهاب دولة وقيام أخرى، بل تبقى روحه سارية في إبداعه حتى آخر حياته وإن تغير الموضوع الأدبي .. وقد تناول هذه المناهج بالدرس والتحليل في تمهيد كتابه "الأدب العربي في عصر الأصالة" بعنوان:"ملاحظات حول مناهج درس تاريخ الأدب وعصوره"(٢)؛ إذ بعد أن عرض لمناهج السابقين منتقدًا إياها، قدم رؤية جديدة طريفة عميقة لطريقة جديدة في التحقيب، تهدف إلى تحقيق دراسة تاريخية أدبية بحق، حيث تُقسَّم مسيرة الأدب العربي إلى ست حِقَب أو أعصر، معتمدًا على القراءة التاريخية والفنية لمقولة أبي عمرو ابن العلاء:"**فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة**(٣)"، ومعتمدًا

---

(١) ينظر: قضايا الشعر الجاهلي ص١٣، د/فتحي إبراهيم خضر، طبع المكتبة الجامعية بنابلس د.ت.

(٢) الأدب العربي في عصر الأصالة ص٩–١٥.

(٣) طبقات فحول الشعراء ٧٧/١، والأدب العربي في عصر الأصالة ص١٣.

على تدبر طريقة ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ) في تقسيم طبقات الجاهليين والإسلاميين والخلط بينهما، خلطًا دالًّا! ثم على تتبع مسيرة الأدب عبر بقية زمن الأمة في قرونها المتوالية، مقدمًا النظرة الداخلية في الأدب على النظرة الخارجية، وحالاً لإشكالية طغيان السياسي على الأدبي في التحقيب، فنقاط التحول من عصر إلى عصر عوامل أدبية بحتة لا دخل للعامل الخارجي من سياسي أو اجتماعي أو حتى ثقافي فيه إلا بمقدار تأثيره الحقيقي دون مبالغة، ومن ثم تبقى النظرة الصحيحة لتقسيم الحقب الأدبية تلك التي تقوم على أساس من النظر في طبيعة الفن نفسه وليس في العوامل الخارجية المحيطة به، مع أنها مؤثر قوي لا يمكن إغفاله؛ فكانت الحقب التي مر بها الأدب العربي، في نظره الخاص، على النحو التالي:

١–عصر الأصالة[١٥٠ق.هـ–نحو١٠٠هـ]. وتعقبها مرحلة تقليد أو عصر الاتباع[١٠٠–١٧٠].

٢–عصر الثورة والتجديد[١٧٠هـ–٤٥٠هـ]. وتعقبها مرحلة التقليد[٤٥٠–٥٠٠هـ].

٣–عصر الزخرفة والجمود[٥٠٠–٧٥٠هـ].٤–عصر الضعف[٧٥٠–١٢٧٠هـ].

٥–عصر الانبعاث[١٢٧٠–١٣٥٠هـ"وفاة شوقي وحافظ"].

٦–عصر التبعية والانحراف[١٣٥٠–إلى الآن]. ولكن لي ملاحظات على هذا التحقيب تتمثل في:

*ظاهر مدى توظيف الدكتور كاظم لمصطلح (مرحلة) للتعبير عن الحقبة الانتقالية التقليدية بين عصر وآخر. ولكن هذا يدل من جهة أخرى عن مدى التمازج والتداخل بين الأعصر، وأن ما ذكره أستاذنا ليس فاصلاً حاسمًا، مثله مثل الفواصل السياسية الموجودة في المنهج الزمني أو التاريخي التي راعاها وطبقها المؤرخون الأوائل للأدب العربي. وإن شاعرًا كبشار أكبر أنموذج على هذا؛ إذ في إبداعه ما هو أصيل، وفيه ما هو ثائر مجدد!

* الحكم على شعراء (ما بعد المتنبي بقرن) بالتقليد، حكم غير مقبول على إطلاقه، والحكم على شعراء أمثال: الطغرائي(ت٥١٣هـ)، وابن خفاجة(ت٥٣٣هـ)، وابن سناء(ت٦٠٨هـ)، والبهاء زهير(ت٦٥٦هت)، وابن الفارض(ت٦٣٢هـ)، والبوصيري(ت٦٩٦هـ)، والشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)، والأمير منجك(ت١٠٨٠هـ)،... وغيرهم، بالجمود حكم غير مقبول فنيًّا؛ فشعر هؤلاء به إبداع لا يقل عن إبداع السابقين شكلاً ومضمونًا، وذلك لا ريب فيه ولا مراء حوله بين الباحثين كافة.

* تحديد عصر الضعف بمنتصف القرن الثامن لا دليل عليه؛ فالحق أن القرن الثامن وما بعده إلى الحادي عشر عصر ثبات واستقرار على الموروث، وأن الضعف دب وانتشر في الأدب العربي منذ القرن الثاني عشر حتى بداية العصر الحديث.

* تقسيم ما يسمى العصر الحديث إلى عصري الانبعاث والتبعية والانحراف، وجعل وفاة شوقي وحافظ حدًّا فاصلاً، أمر قابل للجدال والمناقشة؛ لأن تياري الانبعاث والتبعية وُجِدا معًا في وقت واحد تقريبًا، كما أنه وجد بعد شوقي وحافظ من كان انبعاثيًّا أصيلاً مثل علي الجارم وأحمد محرم، وغيرهما، ووجد قبلهما من كان تابعًا ومنحرفًا مثل خليل مطران!

* وضع أستاذنا الدكتور الظواهري الأساس النظري لمشروع أزهري في تحقيب الأدب يعتمد القسمة الأدبية للدراسات الأدبية منطلقًا ومنهاجًا، لكن صنيعه يظل بحاجة إلى مشروع علمي ضخم يترجم هذه الرؤية البارعة في شكل سلسلة تحقيب أدبي، تضارع سلسلة الدكتور شوقي ضيف–رحمه الله– وغيرها من السلاسل التي سارت على نهج التعصير الأدبي التابع للتعصر السياسي، فقد جاء تطبيق أستاذنا لرؤيته في كتابه "الأدب في عصر الأصالة" واقفًا عند الجاهلية بحدودها المعروفة في المنهج التاريخي المدرسي!

تحقيب مقترح:

وتبقى نظرة أستاذنا الدكتور كاظم صالحة للتأسيس عليها والتطوير لتكون نواة تحقيب أزهري خاص للأدب العربي. وأقترح تعديلها لتكون على النحو الآتي:

١–حقبة الجزالة الفنية[١٥٠ق.هـ–نحو ١٥٠هـ]؛ اعتمادًا على نظرة مرنة إلى ما أسماه اللغويون "عصر الاحتجاج اللغوي"، الذي "ينتهي إلى منتصف القرن الثاني الهجري عند أهل الحض، وعند إبراهيم بن هرمة (ت ١٥٠ هـ)الذي أعده اللغويون ساقة الشعراء، أي آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم في اللغة والنحو، حتى قال عنه الأصمعي ختم الشعر بابن هرمة[١]..

٢–حقبة الثورة والحداثة[١٥٠هـ–٥٠٠هـ]. وتبتدئ ببشار بن برد (ت ١٦٨هـ) أول المولدين والمحدثين، وأبرز من حرص على تمييز نفسه من أساليب القدماء، لهذا مثلت لغة شعره الحداثة في عصرها حتى قيل عنه "أستاذ المحدثين، من بحره اغترفوا، وأثره اقتفوا... سلك طريقاً لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه[٢].

٣–حقبة التقليد والثبات[٥٠٠–١١٥٠هـ تقريبًا] بانتهاء القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني.

٤–حقبة الضعف والجمود[١١٥٠هـ–١٢٧٠هـ].٥

٥–الحقبة الحديثة[١٢٧٠– ١٣٦٠هـ تقريبًا]

٦–الحقبة المعاصرة[١٣٦٠– الآن].

أما تطبيق هذا التحقيب وإجراءاته فإنه جهد يحتاج إلى مؤسسة من الباحثين، ولكن كيف ودراساتنا العليا في جامعتنا لا تلقي بالاً للمشروعات العلمية الضخمة وتقنع

---

(١) الأغاني٦/١٠٧، وتاريخ بغداد٦/١٣١، وتاريخ دمشق ص٦٤.

(٢) الأغاني٣/١٥١.

بالبحوث المتناثرة والجهود المبعثرة؟! أسأل الله –عز وجل– النفع بالأزهر والأزهريين في قادم الأيام.

والتوثيق أداة أساسية في التأريخ والتحقيب، ولذا ينبغي للباحثين في الدراسات الأدبية والنقدية التثبت من كل ما ينسب من آثار– في ميدان الدراسات الأدبية– وأن ندقق قبل نقل هذه الآثار من مصادر أدبية أو تاريخية، ولا نكتفي بنقل كل ما طالعناه فيها؛ فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال :كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع". والتثبت لا يكون إلا عن طريق مطالعة مصادر علم التخريج: قديمة وحديثة، ورقية أو إلكترونية؛ فهذا العلم ينبني على منهج نقدي غاية في الدقة، نستطيع من خلاله أن نخضع هذه الآثار لفحص ومراجعة، بإجراء الدراسة النقدية على الروايات نقدًا خارجيًّا(نقد السند) وداخليًّا(نقد المتن)، ومناقشتها مناقشة علمية، مبنية على أسس مدرسة علماء الحديث ومنهجهم؛ حتى نصل إلى نتيجة مطمئنة...

هذا وما زلت على يقين من أن المنهج التكاملي هو الأنجع في الدرس الأدبي المعاصر، حيث التعاون بين الدراسات الأصلية والدراسات المساعدة، مع إفراد القضية الأدبية وتمييزها، والنظرة الواسعة المرنة، وتحقيق الوحدة الفنية الكلية بالانتقال من الفردي إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، بطريقة متزنة عميقة هادئة نافذة، وتوسيع مفهوم الأدب من المعنى الخاص إلى المعنى العام وربطه بميادين الفكر في الدراسات الإنسانية المتنوعة من تاريخ وتصوف وفلسفة، وغيرها، بما يشيع الخصب والنماء في عملنا الأدبي، ويحدث انقلابًا كبيرًا في أحكامنا الأدبية، ويغير من نظرتنا إلى كثير من العصور والفترات. فهذا المنهج الجديد يرفع الحواجز بين دائرة الأدب بمعناه الضيق، وسائر فنون المعرفة الإنسانية، ويعمل على إغناء الأدب بثمار الفكر بمختلف ألوانه من جهة، وعلى إكساب الإبداع الفكري في كل العلوم الإنسانية نكهة الأدب ورواء أسلوبه وأناقة مظهره من جهة أخرى.

الخاتمة

الخـــاتـــمـــة

بعد هذه السياحة الفكرية التحليلية مع الأدب العربي تحقيبًا وتأريخًا وتصنيفًا، يمكنني أن أخلص إلى **النتائج الآتية:**

* مصطلح **(التحقيب)** مغاربي، ومتداخل مع مصطلح **(التأريخ)**، والعلاقة بينهما إما ترادف وتشابه، أوعلاقة الكل بالجزء، فالتحقيب جزء من التأريخ، وأداة من أدواته، فائدة الدعوة إليه راجعة إلى كونه أكثر تحررًا من التأريخ، ويوسع في مجالات الدرس الأدبي.

* يعد أستاذي الدكتور محمد كاظم حسن الظواهري–حفظه الله– من الأزهريين القلائل المعنيين بمناهج تدريس الأدب العربي؛ إذ تناول هذه المناهج بالدرس والتحليل في تمهيد كتابه "الأدب العربي في عصر الأصالة" بعنوان:"ملاحظات حول مناهج درس تاريخ الأدب وعصوره"؛ فقد عرض لمناهج السابقين منتقدًا إياها، قدم رؤية جديدة طريفة عميقة لطريقة جديدة في التحقيب، تهدف إلى تحقيق دراسة تاريخية أدبية بحق، حيث تُقسَّم مسيرة الأدب العربي إلى ست حِقَب أو أعصر، معتمدًا على القراءة الأدبية التاريخية في تتبع مسيرة الأدب عبر بقية زمن الأمة في قرونها المتوالية، مقدمًا النظرة الداخلية في الأدب على النظرة الخارجية.

* إن دراستنا الأدبية التعليمية المعاصرة في حاجة ماسة إلى إصلاح جذري جاد، تتخلص فيه من أسر المدرسة التقليدية، والعشوائية في عرض أصول الأدب واصطلاحاته وفنونه، من خلال منهج تكاملي يناسب الوعي الثقافي المعاصر وما وصلت إليه الأذواق والأفهام الأدبية الحديثة.

* يعد عصر الدول المتتابعة عصرًا بكرًا في معظم مادته الأدبية، ويحتاج غلى نظرات نقدية وقراءات بحثية عديدة ومتنوعة؛ بغية دفع الغبن والجور الذي لحق العصر وأدبه من قبل المستشرقين وأذيالهم من المتغربين، فتتضح معالمه، وتظهر أعلامه، ونصل فيه إلى رؤى نقدية سليمة منطقيًّا ومنهجيًّا، تعتمد على استقراء تام، واستنطاق عميق لنصوصه وآثاره...

*يلاحظ على معظم مؤرخي العصر الحديث ومُحَقِّبِي الأدب الحديث تجاهلهم لأثر الأزهر الشريف ودوره في النهضة الأدبية الحديثة، بطريقة تكاد تكون متعمدة، نابعة من نظرة استعلائية إقصائية يعرفها القاصي والداني للأسف! ويعد كتاب "الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة" للأستاذ/ محمد كامل الفقي– الذي يعرض فيه المؤلف نماذج لشخصيات أزهرية مؤثرة في النهضة الأدبية مثل الشيخ حسين المرصفي والشيخ حمزة فتح الله وغيرهما، ويتناول الشعر في العصر الحديث وشعراء الأزهر، والتجديد في الشعر ونظر علماء الأزهر إلى الشعر– من أبرز الجهود التي أزالت هذا الغبن الواقع على مؤسسة الأزهر شيوخًا وأدباء وباحثين، وتحتاج إلى متابعة من قبل الباحثين الأزهريين المعاصرين...

* من الطبَعي في مجال النقد أن يكون النص الأدبي هو الذي يستدعي المنهج النقدي، والأمر الشاذ وغير المقبول حينما يُفرَض المنهج النقدي قسرًا على النص الأدبي؛ إذ نجد كثيرًا من النقاد يتسلحون بمناهج أكثر حداثة وعمقًا للتعامل مع نص سطحي مباشر لا يحتاج إلى سبر وتحليل دقيق، فتكون الأحكام أو النتائج النقدية غير ملائمة ولا معبرة عن النص مكانًا ومكانة! وهناك من يتسلح بمناهج تقليدية وقاصرة للتعامل مع نصوص أكثر تعقيدًا وغموضًا، فلابد من المناسبة بين النص والمنهج والمستخدم له.

* هذه المناهج النقديّة التي استنسخها النقد العربي الحديث نتاج خصوصيّة ثقافية، وتحوّلات فكرية واجتماعية مغايرة، ولهذا لا يمكن تجريدها من خصوصيتها الثقافية وحمولاتها الفكريّة، فهي" بوصفها نظريات أو مقاربات أو أدوات بحثية تحليلية للأدب تحمل مضامين ثقافية تجعلها متلائمة مع بيئتها الحضارية الغربية، وأن الناقد غير الغربي، عليه **أن يطبق تلك المناهج كما هي**، ومن ثم يتبنى سواءً أراد أم لم يرد المضامين والتوجهات الفكرية التي شكلت تلك المناهج، ومثل ذلك التطبيق سيؤدي في الأغلب إلى إساءة فهم المادة الأدبية موضوع التحليل النقدي، أو **أن يُحدث تغييرًا جوهريًّا في المنهج الغربي** الذي يطبّقه إلى حد يجعل من الصعب القول بأن المنهج المطبق هو المنهج الأصلي ذاته. وكلا الاتجاهين ينمانِ عن غيبوبة فكرية، تتخذ من مقولة إنسانية الفكر وكونية العالم متكئًا لطرحها النقدي؛ فالإنسان إما أن يكون مؤثرًا وفاعلاً في حركة التاريخ، وإلا سحقته العجلة، ولفظه العالم خارج السياق، وبهذا يكون ملاذًا لكل فكر تخطته صيرورة الحياة، وقام على أنقاضه فكر جديد .

إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه

مصادر البحث ومراجعه

ثبت بأهم مصادر البحث ومراجعه:

*الأدب العربي الحديث في تطوره ومدارسه واتجاهاته، د/السيد مرسي أبوذكري، طبع دار الوفاء الحديثة بشبين الكوم سنة٢٠٠٥م.

*الأدب العربي في عصر الأصالة للدكتور كاظم الظواهري، طبع سنة ٢٠٠٦م.

*الأدب القصصي والمسرحي في مصر، د. أحمد هيكل، طبع دار المعارف ١٩٨٣م.

* الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال، طبع دار نهضة مصر، بالقاهرة سنة ٢٠٠١م.

* الأدب وفنونه، د/عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م.

* الأدب ومذاهبه، د/محمد مندور، طبع دار نهضة مصر، سنة ٢٠٠٠م.

* أسس النقد الأدبي، د/أحمد بدوي، طبع دار نهضة مصر سنة ٢٠٠٣م.

* أصول النقد الأدبي، د/أحمد الشايب، طبع دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٣م.

* بدايات في النقد الأدبي، د/هاشم صالح مناع، طبع دار الفكر العربي في بيروت سنة ١٩٩٤م.

* البرهان في وجوه البيان ص١٢٧، تحقيق د/ حفني شرف، نشر مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٦٩م.

* البلاغة للمبرد، تحقيق د/رمضان عبدالتواب، نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

* تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، نشر دار المعرفة في بيروت، ط ١٠، ١٤٢٧هـ.

* تاريخ الأدب العربي، د/عمر فروخ، طبع دار العلم للملايين سنة ١٩٨٤م

* تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى بني أمية، لكارل نالينو ط٢دار المعارف.

* دائرة المعارف الإسلامية، طبع وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٣٣م.

* دراسات في الأدب الجاهلي، عبدالعزيز نبوي، طبع القاهرة سنة ١٩٨٨م.

* الشعر العربي المعاصر: تطوره وأعلامه، أ/ أنور الجندي، مطبعة الرسالة بالقاهرة، د.ت.

* الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د/عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي طبع ١٩٨٧م.

* الشعر المسرحي: حاضره ومستقبله، د. محمد عناني – طبع الهيئة العامة ٢٠٠١م.

* عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، أ/محمود رزق سليم، نشر مكتبة الآداب سنة١٩٥٥م..

* فن القص بين النظرية والتطبيق، د/نبيلة إبراهيم، طبع مكتبة غريب بالقاهرة.د.ت.

* قضايا الشعر الجاهلي ص١٣، د/فتحي إبراهيم خضر، طبع المكتبة الجامعية بنابلس د.ت.

* قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم للدكتور وليد قصاب، طبع المكتبة الحديثة بالإمارات سنة ١٩٨٥م.

* "مدخل عام لمسيرة الأدب الإسلامي، مقال الدكتور عباس المناصرة، المنشور في مجلة الأدب الإسلامي،العدد الثاني والخمسون/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٦-٣٢ .

* مقدمة في النقد الأدبي للدكتورمحمد حسن عبدالله، طبع دار البحوث العلمية، طبع الكويت سنة ١٩٧٥م.

* مناهج البحث الأدبي، د/سعد ظلام، مكتبة نهضة الشرق سنة ١٩٩٦م.

* مناهج البحث الأدبي، د/فتحي أبوعيسى، طبع شبين الكوم سنة ٢٠٠٠م..

* نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، د/حسين نصار، طبع دار النهضة المصرية سنة ١٩٥٤م.

* نظرية الأدب، أوستن رينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، طبع سنة ١٩٧٢م.

* النقد الأدبي الحديث، د/محمد غنيمي هلال، طبع دار نهضة مصر سنة ٢٠٠٤.

* النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي هايملن، ترجمة د/ إحسان عباس، ود/ محمد يوسف نجم، طبع دار الثقافة، بيروت.د.ت.

مواقع إلكترونية:

- "أثر التحقيب السياسي في التحقيب الأدبي بالمغرب آراء ومرجعيات" للدكتور/ عبدالجليل شوقي، المنشور في صحيفة المثقف، على الرابط: http://almothaqaf.com/index.php/qadaya٢٠٠٩/٦٢٤٨٨.html.
- "من المنهج التاريخي إلى جمالية التلقي" للأستاذ محمد مساعدي على الرابط: http://www.aljabriabed.net/n٧٤_٠٦msaadi.htm
- "الناقد الإسلامي وتحقيب تاريخ الأدب للباحث المغربي" عبدالرازق المساوي، على الرابط: http://www.mazameer.com/vb/archive/index.php/t-١٤٧٥٢.html.
- "نظريات في دراسة المنهج الأدبي" للدكتور السيد عبدالحليم محمد حسين، على الرابط: http: //www.alukah.net..